مكتبة الطالب (٤)

تفسير آيات الغدير الثلاث



مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

برعاية المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني دام ظله



مكتبة الطالب (٤)

تفسير آيات الغدير الثلاث



الطبعة الأولى ١٤٢٧

الكتاب:.................................تفسير آيات الغدير

المؤلف:......................علي الكوراني العاملي

الطبعة:..الأولى

الناشر:.............................دارالهدى - قم

العدد:..................................١٠٠٠٠نسخة

الشابك.......................٥-١٨٢-٤٩٧-٩٦٤

١٤٢٧ هجرية ـ ٢٠٠٦ ميلادية

مقدمة

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وبعـد ، فهـذا تفسير علمي موجز لآيات الغدير الثلاث ، التي نزلت فـي حجـة الوداع ، في بيعة الغدير ، يوم أعلن النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ولياً علـى الأمة بعده ، وأمر المسلمين أن يهنئوه ويبايعوه . وهي قوله تعالى: يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ). (المائدة:٦٧) .

وقـوله تعالـى: الْـيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً . (المائدة:٣).

وقوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ . لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ). (المعارج:١-٢) .

أرجـو أن ينفعـنا الله بهـا ، ويوفقـنا للوفاء لنبيه صلى الله عليه وآله في التمسك بالقرآن والعترة الطاهرين ، ويشملنا بشفاعتهم عليهم السلام .

علي الكوراني العاملي

في السابع والعشرين من شهر رمضان ١٤٢٧

آية التبليغ مع سياقها

قال الله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالأنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ . يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالأنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَاسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ . وَحَسِبُوا أَلا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)(المائدة: ٦٤-٧١).

موضع الآية في القرآن

السياق القرآني حجة ، إذا ثبت تسلسل الآيات بدليل من داخل القرآن أو خارجه ، أما إذا لم توجد قرينة على الإتصال فيكون السياق مشكوكاً ، ولا يصح ربط الآية بسياقها الفعلي كما في آية التبليغ ، وسبب ذلك أن الصحابة قالوا إنهم وضعوا آيات في السور باجتهادهم فنفوا بذلك توقيفية ترتيب الآيات ! (راجع كتاب ألف سؤال وإشكال:٣٠٣/١)

وعلى القول بحجية السياق مطلقاً ، فآية التبليغ وسط آيات عن أهل الكتاب فهي تقول للنبي صلى الله عليه وآله: بلغ ولا تخف أهل الكتاب فنحن نعصمك منهم ! لكن هذا التفسير لايمكن قبوله ، لأن الآية من سورة المائدة وقد نزلت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بشهرين، أي بعد أن بلغ الرسالة وانتصر ، ولم يكن عليه خوف من اليهود والنصارى !

فما هي الرسالة التي أمره الله أن يبلغها ، وجعل تبليغها مساوياً لتبليغ الرسالة كلها ، وعدم تبليغها مساوياً لإبطال تبليغه كله ؟!

وما هي العصمة التي وعده ربه بها ، قبل أن يتوفاه بشهرين ؟!

تفسير الشيعة لآية التبليغ

قال الشيعة إن المأمور بتبليغه في الآية أمرٌ خاصٌّ أوحاه الله الى رسوله صلى الله عليه وآله وأمره بتبليغه ، وهو ولاية علي عليه السلام ، ولا يصح أن يكون

كل ما أوحيَ اليه صلى الله عليه وآله، لأن الآية نزلت في أواخر أيامه صلى الله عليه وآله، ولأن الله جعله مساوياً لكل عمل نبيه صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة ، فلا يصح أن يكون معناه: إن لم تبلغ الكل فلم تبلغ الكل !

وكذا العصمة في الآية ، ليست عصمة للنبي صلى الله عليه وآله في العمل ، لأنها موجودة من أول حياته ، والآية في آخرها . بل هي عصمة له صلى الله عليه وآله من الناس أن يتهموه بأنه حابى ابن عمه فأوصى له بخلافته ، وأنه يريد تأسيس ملك لبني هاشم ، فيرتدوا لذلك عن الإسلام .

وأحاديثنا بذلك متواترة ، ففي تفسير العياشي:٣٣١/١، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: (أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله أن ينصب علياً علماً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه ، فأوحى الله إليه:يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ).

وفي الكافي:٢٩٠/١ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (فرض الله على العباد خمساً ، أخذوا أربعاً وتركوا واحدة ! قلت: أتسميهن لي جعلت فداك؟ فقال: الصلاة ، وكان الناس لا يدرون كيف يصلون فنزل جبرئيل فقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم .

ثم نزلت الزكاة فقال: يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم . ثم نزل الصوم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم عاشوراء

بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم ، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال . ثم نزل الحج فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: أخبرهم من حجهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم .

ثم نزلت الولاية...وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله: أمتي حديثو عهد بالجاهلية ، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل ويقول قائل ، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني فأتتني عزيمة من الله عز وجل بَتْلَة أوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني ! فنزلت: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام فقال: أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله ثم دعاه فأجابه ، فأوشك أن أدعى فأجيب ، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك ، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين. فقال: اللهم اشهد ، ثلاث مرات . ثم قال: يا معشر المسلمين هذا وليكم من بعدي، فليبلغ الشاهد منكم الغائب).

وفي البحار:٣٠٠/٩٤، أن الإمام الصادق عليه السلام قال لمواليه وشيعته: (أتعرفون يوماً شيد الله به الإسلام وأظهر به منار الدين ، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا ؟ فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم ، أيوم الفطر هو يا

سـيدنا؟ قـال: لا . قالـوا: أفـيوم الأضحى هو؟ قال: لا ، وهذان يومان جلـيلان شريفان ، ويوم منار الدين أشرف منهما وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما انصرف من حجة الوداع وصار بغديـر خم أمر الله عز وجل جبرئيل أن يهبط على النبي صلى الله عليه وآله وقت قيام الظهـر مـن ذلـك الـيوم ، وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن ينـصبه علمـاً للناس بعده ، وأن يستخلفه في أمته ، فهبط إليه وقال له: حبيبي محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: قم في هذا اليوم بولاية علـي ليكون علماً لأمتك بعدك يرجعون إليه ويكون لهم كأنت . فقال النبـي صلى الله عليه وآله: حبيبـي جبـرئيل إني أخاف تغير أصحابي لما قد وُتروه ، وأن يـبدوا ما يضمرون فيه، فعرج وما لبث أن هبط بأمر الله فقال له: يَا أَيُّهَـا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْـصِمُكَ مِـنَ الـنَّاسِ . فقـام رسول الله صلى الله عليه وآله ذعراً مرعوباً خائفاً وقدماه تُـشْوَيَان مـن شـدة الرمضاء ، وأمر بأن ينظف الموضع ويُقَمَّ ما تحت الدوح من الشوك وغيره ، ففُعل ذلك، ثم نادى بالصلاة جامعة فاجتمع المـسلمون وفـيمن اجـتمع أبـو بكر وعمر وعثمان وسائر المهاجرين والأنـصار، ثم قام خطيباً وذكر الولاية فألزمها للناس جميعاً ، فأعلمهم أمر الله بذلك).

كمَّمَ الله أفواه قريش في الغدير ، فعصم رسولهﷺ منهم !

سمح الله تعالى لقريش بأن تشوش على نبيهاﷺ في حجة الوداع ، وتُفهمه بأنها ستعلن الردة إن أوصى بخلافته لعترته ! وتنفست قريش الصعداء برحيلهﷺ بعد حجة الوداع دون أن يطالبها بالبيعة لعليعليه السلام!

كما سمح لها أن تقول لنبيهاﷺ في مرض وفاته: لانريد وصيتك ولا عترتك ولا ضمانك لعزتنا وهدايتنا مدى الدهر، فحسبنا كتاب الله !

لكنه عز وجل قرر أن يبلغها ولاية العترة بعد النبيﷺ ويمنعها من إعلان الردة . هكذا أراد سبحانه !

إن آية العصمة لاتعني أن الله تعالى جعل قريشاً ريِّضةً طائعة، فقد قال لها الصادق الأمينﷺ: *(ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا الدين)*.(أبو داود:١/٦١١) .

لكنه سبحانه أراد لتبليغه أن يتم ، وللأمة أن تجري عليها سنن الأمم الماضية فتمتحن بطاعة نبيها بعده، أما القدرة على الرِّدة في حياته.. فلا.

لذلك بعث الله جبرئيلعليه السلام في طريق عودة النبيﷺ من حجة الوداع يأمره أن ينفذ تبليغ رسالته الآن ، وأنه سيعصمه من قريش ! فأوقف النبيﷺ المسلمين بعد مسير ثلاثة أيام في حر الظهيرة ، في صحراء ليس فيها كلأ لخيولهم وجمالهم ، ولا سوق يشترون منه علوفة وطعاماً

إلا دوحةٌ من بضع أشجار على قليل من ماء ، ولم يصبر عليهم حتى يصلوا إلى الجحفة التي لم يبق عنها إلا ميلان أو أقل وبعث إلى من تقدم وأرجعهم ! كل ذلك ليصعد المنبر قبل الصلاة ويرفع بيد ابن عمه وصهره علي عليه السلام ويقول لهم: هذا وليكم من بعدي ، ثم من بعده ولداه الحسن والحسين ثم تسعة من ذرية الحسين عليهم السلام.

هنا تجلت آية العصمة وتجسمت للعيان ، فقد كمَّمَ الله تعالى أفواه قريش عن المعارضة وفتحها للموافقة ، فقالوا جميعاً: نشهد أنك بلغت عن ربك وأنك نعم الرسول ، سمعنا وأطعنا ! وتهافتوا مع المهنئين إلى خيمة علي عليه السلام يهنئونه ويبخبخون له ، وكبروا مع المكبرين عندما نزلت آية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاَسْلامَ دِيناً . ثم أصغوا جميعاً إلى قصيدة حسان بن ثابت في وصف نداء النبي صلى الله عليه وآله وإعلانه ولاية علي عليه السلام بعده . واستمرت تهانيهم لعلي عليه السلام من بعد صلاة العصر إلى ما شاء الله، ثم بعد صلاة المغرب والعشاء على ضوء القمر ليلة التاسع عشر من ذي الحجة ، فقد بات النبي صلى الله عليه وآله في غدير الإمامة ، وتحرك إلى المدينة بعد صلاة فجره ، وقيل بقي يومين !

نعم ، منع الله تعالى قريشاً أن تخرب مراسم النبي صلى الله عليه وآله في الغدير، وكفَّ ألسنتها السليطة؟! فقررت أن تُمَرِّر هذا اليوم لمحمد صلى الله عليه وآله ، ليقول في بني هاشم وعليٍّ ما شاء؟!

القول السني الصحيح الذي أفلت من رقابة الحكومات !

مع حرص علماء الخلافة على إبعاد الآية عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد أفلتت منهم أحاديث موافقة لرأي لأهل البيت عليهم السلام !

قال في الدر المنثور:٢٩٨/٢: (أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، على رسول الله (ص) يوم غدير خم في علي بن أبي طالب . وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله(ص): يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ- أن علياً مولى المؤمنين - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ). انتهى.

وفي كتاب المعيار والموازنة/٢١٣ ، عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن العباس الصحابيين قالا: (أمر الله محمداً (ص) أن ينصب علياً للناس ويخبرهم بولايته ، فتخوف رسول الله (ص) أن يقولوا حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه ، فأوحى الله إليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، فقام رسول الله بولايته يوم غدير خم). والحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل:١٥٧/١ ، بأسانيد ، وتاريخ دمشق:٨٥/٢ ، والميزان:٥٤/٦ ، عن تفسير الثعلبي .

قال في الغدير:٢١٤/١: (وما ذكرناه من المتسالم عليه عند أصحابنا الإمامية غير أنا نحتج في المقام بأحاديث أهل السنة في ذلك.. ثم ذكر رحمه الله ثلاثين مؤلفاً لعلمائهم أوردوا حديث نزول الآية في ولاية علي عليه السلام نذكر ملخصها:

١ - الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخرج بإسناده في كتاب (الولاية) في طرق حديث الغدير، عن زيد بن أرقم قال: لما نزل النبي(ص) بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع ، وكان في وقت الضحى وحر شديد ، أمر بالدوحات فقمَّت ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال: إن الله تعالى أنزل إلي: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .

٢ - الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي .

٣ - الحافظ أبو عبد الله المحاملي ، في أماليه عن ابن عباس...

٤ - الحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي ، في كتابه ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين ، بالإسناد عن ابن عباس .

٥ - الحافظ ابن مردويه ، عن أبي سعيد الخدري: نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب ، وعن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله(ص) : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، أن علياً مولى المؤمنين...

٦ - أبوإسحاق الثعلبي النيسابوري ، في تفسيره الكشف والبيان ..

٧ - أبو نعيم الأصبهاني ، في تأليفه: ما نزل من القرآن في علي .

٨ - أبو الحسن الواحدي النيسابوري ، في أسباب النزول .

٩ - أبو سعيد السجستاني ، بعدة طرق عن ابن عباس .

١٠ - الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ، عن ابن عباس ، وجابر .

١١ - ابن عساكر الشافعي ، عن أبي سعيد الخدري ...

١٢ - أبو الفتح النطنزي في الخصائص العلوية .

١٣ - فخر الدين الرازي الشافعي ، في تفسيره الكبير:٦٣٦/٣.

١٤ - أبو سالم النصيبي الشافعي في مطالب السؤول .

١٥ - الحافظ عز الدين الرسعني الموصلي الحنبلي .

١٦ - أبو إسحاق الحمويني ، فرايد السمطين ، بأسانيده .

١٧ - السيد علي الهمداني ، في مودة القربى عن البراء بن عازب قال: (أقبلت مع رسول الله(ص) في حجة الوداع، فلما كان بغدير خم نودي الصلاة جامعة فجلس رسول الله تحت شجرة وأخذ بيد علي، وقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله . فقال: ألا من أنا مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا علي بن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة . وفيه نزلت: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.. الآية .

١٨- بدر الدين بن العيني الحنفي ، في عمدة القاري في شرح البخاري:٥٨٤/٨ .

الحسن البصري يكتم حديث النبي ﷺ

قال الرازي في تفسيره:٤٨/١٢: (روي عن الحسن عن النبي ﷺ قال: إن الله بعثني برسالته فضقت بها ذرعاً وعرفت أن الناس يكذبوني واليهود والنصارى ، وقريش يخوفوني فلما أنزل الله هذه الآية ، زال الخوف بالكلية). انتهى. وقد حرَّف الرازي رواية البصري وزاد فيها ! وأصلها كما في الدر المنثور:٢٨٩/٢: (عن الحسن (البصري) أن رسول الله (ص) قال: إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً ، وعرفت أن الناس مكذبي فوعدني لأبلغن أو ليعذبني فأنزل: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ).انتهى.

فأضاف الرازي (اليهود والنصارى)من عنده ليجعل العصمة منهم لا

من قريش، ويُبعد الآية عن ولاية علي عليه السلام، مع أن الخطر يومها لم يكن من اليهود والنصارى ، بل من قريش خاصة !

وكشف الإمام الباقر عليه السلام تحريف البصري للحديث ، ففي دعائم الإسلام للقاضي المغربي:١٤/١، أن رجلاً قال له: (يا ابن رسول الله إن الحسن البصري حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري وخشيت أن يكذبني الناس فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني ! قال له أبو جعفر عليه السلام: فهل حدثكم بالرسالة؟قال: لا. قال: أما والله إنه ليعلم ما هي ولكنه كتمها متعمداً ! قال الرجل: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك وما هي؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه فلم يدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون ، فأمر الله عز وجل محمداً نبيه صلى الله عليه وآله أن يبين لهم كيف يصلون، فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسراً . وأمر بالزكاة فلم يدروا ما هي ففسرها رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والزرع ، ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلا فسره لأمته وبينه لهم . وفرض عليهم الصوم فلم يدروا ما الصوم ولاكيف يصومون ففسره لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وبين لهم ما يتقون في الصوم وكيف يصومون . وأمر بالحج فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم كيف يحجون حتى أوضح لهم ذلك في سنته . وأمر الله عز وجل بالولاية فقال: إِنَّمَا

وَلِـيُّكُمُ اللهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّـذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُـونَ . ففـرض الله ولايـة ولاة الأمـر فلـم يـدروا ما هي فأمر الله نبيهﷺأن يفسر لهم ما الولاية مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحـج ، فلمـا أتـاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله ذرعاً ، وتخـوف أن يـرتدوا عن دينه وأن يكذبوه ، فضاق صدره وراجع ربه فأوحـى إلـيه: يَـا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه يوم غدير خم، ونادى لذلك الصلاة جامعة وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب . وكانت الفرائض ينزل منها شـئ بعد شئ ، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخـر الفـرائض، فأنـزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَـيْكُمْ نِعْمَتِـي وَرَضِـيتُ لَكُـمُ الأِسْلامَ دِيناً . قال أبو جعفر: يقول الله عز وجـل: لا أنـزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفـرائض). ونحـوه شـرح الأخـبار:١٠١/١، و:٢٧٦/٢، بلفظ آخر وفيه:(جمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بهـا ذرعـاً فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني،أفلستم تعلمون أن الله عز وجـل مـولاي وأنـي مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم؟ قالـوا: بلـى، فأخذ بيد عليعليه السلامفأقامه ورفع يده بيده وقال: فمن كنت

مولاه فعلي مولاه ومن كنت وليه فهذا علي وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار . ثم قال أبو جعفرعليه السلام: فوجبت ولاية علي عليه السلام على كل مسلم ومسلمة). انتهى.

أتباع ابن تيمية يفقدون أعصابهم عند آية التبليغ

قال الألباني في صحيحته:٦٤٤/٥: (كان يحرس حتى نزلت هذه الآية: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس، فأخرج رسول الله رأسه من القبة فقال لهم: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله. أخرجه الترمذي:١٧٥/٢ ، وابن جرير:٦/ ١٩٩ ، والحاكم:٣/٢... الحديث صحيح ، فإن له شاهداً من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة فجعلوها للنبي...الخ. أخرجه ابن حبان في صحيحه...

واعلم أن الشيعة يزعمون خلافاً للأحاديث المتقدمة أن الآية المذكورة نزلت يوم غدير خم في علي رضي الله عنه ويذكرون في ذلك روايات عديدة مراسيل ومعاضيل أكثرها ، ومنها عن أبي سعيد الخدري ولا يصح عنه كما حققته في الضعيفة (٤٩٢٢) والروايات الأخرى أشار إليها عبد الحسين الشيعي في مراجعاته/٣٨ ، دون أي تحقيق في أسانيدها كما هي عادته في سرد أحاديث كتابه ، لأن غايته حشد كل ما يشهد لمذهبه سواء صح أو لم يصح على قاعدتهم(الغاية

تبرر الوسيلة)فكن منه ومن رواياته على حذر ! وليس هذا فقط بل هو يدلس على القراء إن لم أقل يكذب عليهم فإنه قال في المكان المشار إليه في تخريج أبي سعيد هذا المنكر بل الباطل: أخرجه غير واحد من أصحاب السنن كالإمام الواحدي ! ووجه كذبه: أن المبتدئين في هذا العلم يعلمون أن الواحدي ليس من أصحاب السنن الأربعة ، وإنما هو مفسر يروي بأسانيده ما صح وما لم يصح ، وحديث أبي سعيد هذا مما لم يصح ، فقد أخرجه من طريق فيه متروك شديد الضعف ، كما هو مبين في المكان المشار إليه من الضعيفة . وهذه من عادة الشيعة قديماً وحديثاً أنهم يستحلون الكذب على أهل السنة عملاً في كتبهم وخطبهم بعد أن صرحوا باستحلالهم للتقية كما صرح بذلك الخميني في كتابه كشف الأسرار ، وليس يخفى على أحد أن التقية أخت الكذب ! ولذلك قال أعرف الناس بهم شيخ الإسلام ابن تيمية: الشيعة أكذب الطوائف ! وأنا شخصياً قد لمست كذبهم لمس اليد في بعض مؤلفيهم وبخاصة عبد الحسين هذا ، والشاهد بين يديك فإنه فوق كذبته المذكورة أوهمَ القراء أن الحديث عند أهل السنة من المسلمات بسكوته عن علته وادعائه كثرة طرقه . وقد كان أصرح منه في الكذب الخميني فإنه صرح في الكتاب المذكور/١٤٩، أن آية العصمة نزلت يوم غدير خم بشأن إمامة علي بن أبي طالب باعتراف أهل السنة واتفاق

الشيعة . كذا قال عامله الله بما يستحق). انتهى.

نقول للألباني: دع عنك التهم والشتائم وتصنيف من هم أصدق الطوائف وأكذبها ، فنحن لا نقول إن الشيعة كلهم عدول كالصحابة فهذا من الكذب ! لكن نقول إن النواصب أولى بالكذب والزور ، لأنهم كذبوا على أنفسهم فأبغضوا الذين أمرهم الله بحبهم ، وكذبوا على أنفسهم فنصبوا أشخاصاً وشخصات جعلوا حبهم فريضة بدون سلطان !

وقد اعترفت أنت بظلم ابن تيمية لعلي عليه السلام وكذبه في إنكار حديث الغدير *(من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)* فصححت الحديث واعترفت بالحق مشكوراً ، وكتبت صفحات في ذلك في صحيحتك:٥/٣٣٠ برقم١٧٥٠ ، ثم قلت في/٣٤٤: (إذا عرفت هذا فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته: أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعَّف الشطر الأول من الحديث ، وأما الشطر الآخر فزعم أنه كذب ! وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها . والله المستعان).انتهى. *فقد اعترفت أيها الألباني بكذب إمامك على علي عليه السلام، فكيف تقبل شهادته في اتهام شيعته ؟!*

ثم تعال أيها الشيخ الألباني ، لننظر هل صدقت في حكمك على حديث نزول آية: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، في بيعة الغدير ، بأنه باطل

منكر، وقلت عن طرقه: *(مراسيل ومعاضيل أكثرها)!* فلماذا قلت أكثرها ولم تأت بغير الأكثر الذي استثنيته من الإرسال والإعضال؟! هل خفت أن يكـون صـحيحاً ويلزمك بالإيمان برسالة ربك التي أمر نبيهﷺأن يـبلغها فـي ولايـة علـيعليه السلام؟! وهـل رأيت طرق الثعلبي، وأبي نعيم، والـواحدي، وأبـي سـعيد السجستاني، والحسكاني، وبحثت أسانيدهم فـوجدت فـي رواتهـا من لم تعتمد أنت عليهم؟! كلا، بل وقعت فيما وصفت به ابن تيمية من التسرع والتعصب ، أي الكذب والتدليس؟!

علـى أي لم يَفُتْ الوقت فنرجو أن تتفضل بقراءة ما كتبته في تفسير الآيـة ، وتـرى الطرق والأسانيد التي قدمناها وتبحثها على مبانيك التي ذكـرتها فـي كتبك ، بشرط أن لا تتناقض فتضعِّف راوياً هنا لأنه روى فضيلةً لعليعليه السلام، ثم توثقه عندما يروي فضيلة لخصوم عليعليه السلام !

أقـول: كتبت هذا الموضوع في حياة الشيخ الألباني قبل وفاته بنحو سـنتين ، وأرسلته له الى الأردن ، مع طرق الحديث من شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني تلميذ الحاكم صاحب المستدرك:١/٢٥٠-٢٥٧ ، وهي عـدة طـرق وفـيها الـصحيح على مبناه ، ولم يجبني ! ثم ذكرت ذلك لــ(صديقه) الحافظ حسن السقاف، صاحب كتاب (تناقضات الألباني الواضحات) فقال إن الألباني لن يجيب ، وله معه تجارب !

أقوال علماء الحكومات في آية التبليغ

وقع علماء الخلافة في مشكلة عويصة ، فهم مضطرون لإبعاد الآية عن ولاية علي عليه السلام، وإلا فقدوا خلافتهم ومذاهبهم ومناصبهم ، ومآكلهم ومشاربهم ! لكن ماذا يصنعون؟ فإن قالوا إنها أمر بتبليغ الرسالة وقد نزلت في مكة كذّبتهم الآية لأنها نزلت في آخر سورة قرب وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وكان تبليغه للرسالة انتهى أو كاد ! وإن قالوا إن عصمته من الناس تتعلق بحياته ، فلماذا كان يتخذ الحرس من أول بعثته الى آخر عمره الشريف ؟!

مع ذلك فقد تعمدوا وأبعدوها عن ولاية علي عليه السلام، وليكن ما يكون ! فتخبطوا في تفسيرها في أقوال واضحة التهافت والبطلان !

القول الأول: أنها نزلت في أول البعثة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله خاف أن يبلغ رسالة ربه فامتنع أو تباطأ فهدده الله تعالى وطمأنه !

وهذه تهمة مشينة للنبي صلى الله عليه وآله الذي هو أعظم الناس إيماناً وشجاعة ، وحرصاً على تبليغ رسالة ربه ، بنص القرآن ، وبشهادة سيرته .

ولأن الآية وسورتها نزلت قبل شهرين تقريباً من وفاته صلى الله عليه وآله ، ومعنى قولهم أنها نزلت قبل ٢٣ سنة من نزول المائدة !

وقد ذكر الشافعي هذا القول بلفظ: "يقال" (الأم: ١/١٦٨) ! لكن هذا

"الـيُقال"صار قولاً معتمداً عن علماء كبار ، لأنهم لم يجدوا وجهاً غيره يـبعد الآيـة عن يوم الغدير وولاية علي عليه السلام ، وهم مضطرون الى ذلك ولو بالكذب على النبي صلى الله عليه وآله (والإتكال على الله) !

روى السيوطي في الدر المنثور:٢٩٨/٢ والواحدي في أسباب النزول:١٣٩/١و ٤٣٨ عـن ابـن جـريج قـال: (كان النبي(ص) يهاب قريشاً فأنزل الله: وَاللهُ يَعْـصِمُكَ مِـنَ الـنَّاسِ ، فاستلقى ثم قال: من شاء فليخذلني. مرتين أو ثلاثاً. وعن مجاهد قال: لما نزلت: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، قال: يا رب إنما أنا واحـدٌ كـيف أصـنع يجـتمع علـي الناس؟! فنزلت: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَـالَتَهُ) ! والطبري:١٩٨/٦ . والوسيط:٢٠٨/٢، عن الأنباري: (كان النبي يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكة ويخفي بعضه إشفاقاً على نفسه من شر المشركين إليه وإلى أصحابه) وقال في الكشاف:٦٥٩/١، والوسيط:٢٠٨/٢: إن الآية وعدٌ بالعصمة من القتل!

وأكثـر المخلطـين في هذا القول ابن كثير ! فقد جعل الآية في أول البعـثة وخلطهـا بآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ، وبتر حديث الدار الوارد فـي تفـسيرها وحذف منه أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يختار خليفته ووصيه من عشيرته الأقربين، ثم أورد حديثاً مكذوباً وفسره بأن النبي صلى الله عليه وآله كان يخاف أن يقتله القرشيون فطلب من بني هاشم شخصاً يكون خليفته في أهله ليقضي دينه، فقبل ذلك علي عليه السلام، ثم انتفت الحاجة إليه بنزول آية العـصمة من الناس ! قـال في النهاية:٥٣/٣ ، والسيرة:٤٦٠/١: (قال عليٌّ: لما

نـزلت هذه الآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ، قال لي رسول الله: إصنع لي رجـل شـاة بـصاع من طعام وإناء لبناً وادع لي بني هاشم ، فدعوتهم وإنهـم يومـئذ لأربعون غير رجل...الى أن قال: أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلـك بمالـه... قلت: أنا يا رسول الله ! قال: أنت . ومعنى قوله في هذا الحديث: من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت ، وكأنـه (ص) خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه فاسـتوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ويقضي عنه ، وقد أمنه الله من ذلـك فـي قـوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ).انتهى.

وقد تجاهل ابن كثير أن روايته تنسب الجبن الى النبي صلى الله عليه وآله حتى في المرحلة الأولى التي كان مأموراً فيها بدعوة عشيرته الأقربين فقط !

القـول الثانـي: أنها نزلت في مكة قبل الهجرة ، فاستغنى النبي صلى الله عليه وآله عـن حراسـة عمه أبي طالب أو عمه العباس! وهذا القول هو المشهور في مصادرهم، وبعض رواياته نصت على نزولها في مكة ، وبعضها لم تـنص كرواية عائشة لكن البيهقي والسيوطي وغيرهما فسروها بذلك .

روى في الدر المنثور:٢٩٨/٢ ، عن ابن مردويه والضياء في المختارة ، عن ابـن عباس قال: (سئل رسول الله (ص): أي آية أنزلت من السماء أشد

عليك؟ فقال: كنت بمنى أيام الموسم واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس في الموسم فنزل علي جبريل فقال: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، قال: فقمت عند العقبة فناديت: يا أيها الناس من ينصرني على أن أبلغ رسالة ربي ولكم الجنة؟ أيها الناس قولوا لاإله إلا الله وأنا رسول الله إليكم ، تنجوا ولكم الجنة . قال فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون علي بالتراب والحجارة ويبصقون في وجهي ويقولون كذاب صابئ ، فعرض عليَّ عارض فقال: يا محمد إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك، فقال النبي: اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون، وانصرني عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه. قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس... وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله(ص) إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه ، حتى نزلت: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فذهب ليبعث معه فقال: يا عم إن الله قد عصمني لاحاجة لي إلى من تبعث) ! والطبراني الكبير:١١/٢٠٥ ، والزوائد:٧/١٧.

أما رواية عائشة فرواها الترمذي:٤/٣١٧: (قالت: كان النبي يُحرس حتى نزلت هذه الآية: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فأخرج رسول الله(ص) رأسه من القبة فقال لهم: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله).والحاكم:٢/٣١٣.

وقال البيهقي في سننه:٨/٩ : (قال الشافعي: يعصمك من قتلهم أن يقتلوك حتى تبلغهم ما أنزل إليك ، فبلغ ما أمر به فاستهزأ به قومه فنزل: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) .

وفي الدر المنثور:٢٩١/٢، و٢٩٨: (وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: كان العباس عم النبي فيمن يحرسه فلما نزلت: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، ترك رسول الله الحرس . وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن أبي ذر قال: كان رسول الله لاينام إلا ونحن حوله من مخافة الغوائل حتى نزلت آية العصمة). وأخذ بهذا القول: السهيلي في الروض الأنف:٢٩٠/٢ ، والقسطلاني في إرشاد الساري: ٨٦/٥ ، وابن العربي في شرح الترمذي:٦ جزء ١٧٤/١١. والعيني في عمدة القاري:٩٥/١٤ وابن جزي في التسهيل:٢٤٤/١، والنويري في نهاية الأرب:١٩٦/١٦ ، والنيسابوري في الوسيط:٢٠٩/٢ ، والدميري في حياة الحيوان:٧٩/١ . والزمخشري:٦٥٩/١، والفخر الرازي:٦ جزء٥٠/١٢ ، مع أنهما قالا غير ذلك كما تقدم ! وأخذ به صاحب السيرة الحلبية:٣٢٧/٣ ، واغتنم الآية لإثبات فضيلة لأبي بكر فناقض نفسه ! قال: (سعد بن معاذ حرسه ليلة يوم بدر ، وفي ذلك اليوم لم يحرسه إلا أبو بكر شاهراً سيفه حين نام بالعريش) .

ويدل على بطلان هذا القول: أن الآية في سورة المائدة نزلت قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، ولا يصح ربطها بالحراسة ، وعمدة أدلتهم على ذلك رواية القبة عن عائشة ، لكنها تدل على إلغائه الحراسة في المدينة ، والترمذي لم يصححها ، وضعف سندها سعيد بن منصور:١٥٠٣/٤.

ورواية حراسة العباس للنبي صلى الله عليه وآله ضعفها الهيثمي. وغيرهما ليس مسنداً.

لكن مهما صحت رواياتهم فالواقع يكذبها ، لأن المجمع عليه في سيرته صلى الله عليه وآله أنه كان يطلب من قبائل العرب أن تحميه وتمنعه من القتل لكي يبلغ رسالة ربه ، وقد بايعه الأنصار بيعة العقبة على أن يحموه ويحموا أهل بيته مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم ، فلو كانت آية العصمة نزلت في مكة وكان معناها كما زعموا ، لما احتاج إلى ذلك !

كما أن غرض هذا القول تقليل دور أبي طالب رحمه الله في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وإثبات دور مميز للعباس في حمايته ، مع أن دوره كان عادياً كبقية بني هاشم الذين لم يسلموا ولم يهاجروا !

القول الثالث: أنها نزلت في المدينة ، فألغى النبي صلى الله عليه وآله حراسته !

ورووا فيه أحاديث ، منها حديث القبة المتقدم عن عائشة . وفي الدر المنثور:٢٩٨/٢: (أخرج الطبراني وابن مردويه عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنا نحرس رسول الله (ص) بالليل حتى نزلت: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فترك الحرس. وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...قال رسول الله: لاتحرسوني إن ربي قد عصمني. وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن شقيق: كان يعتقبه ناس من أصحابه فلما نزلت: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فخرج فقال: يا أيها الناس إلحقوا بملاحقكم ، فإن

الله قـد عـصمني مـن الناس . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الـشيخ عـن محمـد بـن كعـب القرظي أن رسول الله ما زال يحارسه أصـحابه حتـى أنـزل الله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فترك الحرس حين أخبـره أنــه سيعصمه من الناس). وتاريخ المدينة: ٣٠١/١ ، عن ابن شقيق والقرظي ، والطبري: ١٩٩/٦ ، عن ابن شقيق . والطبقات: ١١٣/١، والبيهقي في دلائل النبوة: ١٨٠/٢ .

ويـدل علـى بطـلان هذا القول ، وكل الأقوال التي ربطت نزول آية التبليغ بالحراسة ، أنها نزلت في سورة المائدة بعد الوقت الذي زعموه مضافاً الى أن حراسته ﷺ استمرت الى آخر عمره الشريف كما يأتي !

القول الرابع: أنها نزلت في المدينة في السنة الثانية ، بعد أحُد !

فـي الدر المنثور: ٢٩١/٢: (أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن عطية بن سـعد قـال: جـاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسـول الله(ص) فقال: يا رسول الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله. فقال عبد الله بـن أبـي: إنـي رجل أخاف الدوائر ، لا أبرأ من ولاية مواليَّ. فقال رسـول الله لعـبد الله بن أبي: أبا حباب أرأيت الذي نفستَ به من ولاء يهود على عبادة فهو لك دونه ! قال: إذن أقبل ، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ..إلى أن بلغ إلى قوله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ).انتهى.

وقصدهم أن آية التبليغ نزلت في سياق النهي عن تولي اليهود ، فيكون موضوعها النهي عن ولايتهم ، وليس وجوب ولاية علي عليه السلام.

ويكفي لبطلان هذا القول ، أنه من كلام عطية بن سعد ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله. وهو لا يفسر: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، مضافاً إلى عدم صحة نزول الآيات في سورة المائدة في قصة ولاء ابن سلول لليهود ، الذي توفي قبل نزول سورة المائدة بنحو سنتين ! (تاريخ الطبري:٣٨١/٢) .

القول الخامس: أنها نزلت أثر محاولة شخص اغتيال النبي صلى الله عليه وآله ،

وتناقضت رواياتهم في ذلك ، فقال بعضها إن الحادثة كانت في غزوة بني أنمار المعروفة بذات الرقاع ، وإن شخصاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وطلب منه أن يعطيه سيفه ليراه ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله إياه بكل سهولة ! أو كان علقه وغفل عنه ، أو دلى رجليه في البئر وغفل عنه... إلخ. !

قال السيوطي في الدر المنثور:٢٩٨/٢: (وأخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال: لما غزا رسول الله (ص) بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل ، فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه ! فقال غورث بن الحرث: لأقتلن محمداً ، فقال له أصحابه: كيف تقتله ؟ قال أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته به ! فأتاه فقال: يا محمد أعطني سيفك أشِمْهُ، فأعطاه إياه فرعدت يده ، فقال رسول الله: حال الله بينك وبين ما تريد ، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

رَبِّكَ..الآية. وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: كان رسول الله(ص)إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقيل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال: من يمنعك مني؟ قال: الله ، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه ، قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثرت دماغه فأنزل الله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .

وأخرج ابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة قال:كنا إذا صحبنا رسول الله في سفر تركنا له أعظم دوحة وأظلها فينزل تحتها..الخ.).

ومما يدل على بطلان هذا القول ، أن غزوة ذات الرقاع كانت في السنة الرابعة من الهجرة(سيرة ابن هشام:٢٢٥/٣)أي قبل نزول سورة المائدة بسنوات، وبعض روايات قصة غورث بلا تاريخ، وبعضها غير معقول!

على أن نزولها في قصة غورث معارض برواية مصادرهم المعتمدة ، ففي سيرة ابن هشام:٢٢٧/٣ ، أن الآية التي نزلت في قصة غورث قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وهذا لايصح لأن هذه الآية من سورة المائدة أيضاً ! كما روى بخاري وغيره تشريع صلاة الخوف في غزوة الرقاع ، وتشديد الحراسة على النبيﷺ حتى في الصلاة ، وهو كافٍ لرد نزول آية العصمة فيها ! قال في صحيحه:٥٣/٥: (عن جابر قال: كنا مع النبي(ص) بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها

للنبي، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي معلق بالشجرة، فاخترطه فقال له: تخافني؟ فقال لا. قال فمن يمنعك مني؟ قال الله . فتهدده أصحاب النبي(ص) وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين.. إسم الرجل غورث بن الحرث).

ونحوه الحاكم:٢٩/٣ ، على شرط الشيخين، **وفيه أن النبي صلى الله عليه وآله صلى بعد الحادثة صلاة الخوف بحراسة مشددة** ! وروى أحمد قصة غورث:٣٦٤/٣ و٣٩٠ و:٥٩/٤، **وفيها صلاة الخوف وليس فيها نزول الآية** ! ومجمع الزوائد:٨/٩، **بتفصيل وليس فيها نزول الآية** !

ملاحظات على تفسيرهم للآية

١- *مع أن أصحاب الصحاح والسنن المعتمدة عندهم* حريصون على رد مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويعرفون أنهم يستدلون بآية التبليغ على مذهبهم ، لكنهم لم يرووا أي رواية صحيحة في رد مذهبنا ! مع أن بخاري عقد للآية في صحيحه بابين: في:٨٨/٥ ، والثاني في:٩/٨ ، وتعرض للآية في:٥٠/٦ ، و:٢١٠/٨ ، وكذا مسلم:١١٠/١ . وبذلك بقيت روايات الشيعة وما وافقها من روايات السنة بلا معارض من صحاحهم !

٢- *شملت رواياتهم في نزول الآية* كل مدة بعثة النبي صلى الله عليه وآله وهجرته ما عدا حجة الوداع ! فاستثناؤهم تلك الفترة وحدها ، يوجب الشك في تعمدهم الهروب من سبب نزول الآية !

٣- *سبب نزول الآية في مصادرنا* واحدٌ ، بتاريخ واحد ن على نحو

الجـزم واليقـين ، وفـي مصادرهم أسبابٌ متعددة ، بتواريخ متناقضة ، وهم منها في شكٍّ وحيرة .

٤- *رووا فـي سـبب نـزول الآية ما يوافق* مذهب أهل البيت عليهم السلام ، والسبب المجمع على روايته أقوى وأحق بالإتباع من المختلف فيه .

٥- *طعـنوا برسـول الله صلى الله عليه وآله وكذبـوا عليه في تفسير الآية !* فقد رأيت أحاديثهم المكذوبة ونسبته اليه صلى الله عليه وآله أفعالاً لم يفعلها ! مضافاً الى طعـنهم فـي شخصيته صلى الله عليه وآله وأنه خاف فلم يبلغ رسالة ربه حتى طمأنه وضمن له أنه لا يقتل ! بل يدل كلامهم على أن النبي صلى الله عليه وآله لم يثق بوعد ربـه ، فاتخـذ الحـرس طـوال حـياته ! وتمادى ابن حجر في الطعن بالنبـي صلى الله عليه وآله فقد قال القرطبي إن صلى الله عليه وآله كان وحده في قصة غورث بدون حراسـة فـتكون الآية نزلت قبلها ! فأجابه ابن حجر: بل نزلت يومذاك فألغـى الحرس ، أما قبلها فكان يضعف إيمانه فيتخذ الحرس ، ويقوى إيمانه فيلغيه ! وفي قصة غورث كان إيمانه قوياً فكان بلا حراسة !

قال في فتح الباري:٦/٧١: (قال القرطبي: هذا يدل على أنه (ص) كان في هذا الوقت لايحرسه أحدٌ من الناس، بخلاف ما كان عليه في أول الأمر فإنـه كان يحرس حتى نزل قوله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. قلت... عـن أبي هريرة قال: كنا إذا نزلنا طلبنا للنبي صلى الله عليه وآله أعظم شجرة وأظلها، فنـزل تحـت شجرة فجاء رجل فأخذ سيفه فقال: يا محمد من يمنعك

مني؟ قال: الله ، فأنزل الله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، وهذا إسناد حسن ، فيحتمل إن كان محفوظاً أن يقال: كان مخيراً في اتخاذ الحرس فتركه مرةً لقوة يقينه،فلما وقعت هذه القصة ونزلت هذه الآية ترك ذلك)!انتهى.

فاعجب لابن حجر كيف أغمض عينيه عن أن غزوة الرقاع سنة أربع ونزول الآية في سورة المائدة سنة عشر ، وراويها أبو هريرة جاء إلى المدينة سنة سبع، ويزعم أنه كان في غزوة الرقاع ونزلت الآية فيها ! فكيف يكون إسناده حسناً ! إن كل هذا التعسف لأنه يريد ربط الآية بالحراسة لإبعادها عن بيعة الغدير ! لكنه أشار على خوف من علماء السلطة الى أنه يشك في أصل الموضوع بقوله: (إن كان محفوظاً) ، ومعناه أنه يشك في أصل تفسيرهم للعصمة بالحفظ من القتل !

هذا ، وقد روى الكليني رحمه الله :١٢٧/٨،عن الإمام الصادق عليه السلام قصة غورث وفيها معجزة نبوية وليس فيها نزول آية التبليغ،قال: (نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه ، فرآه رجل من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً ، فجاء وشد على رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: ربي وربك فنسفه جبرئيل عن فرسه فسقط على ظهره فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ السيف وجلس على

صدره وقال: من ينجيك مني يا غورث؟ فقال: جودك وكرمك يا محمد ! فتركه ، فقام وهو يقول: والله لأنت خير مني وأكرم).انتهى.

٦- *لاعلاقة للعصمة في الآية بالقتل والحراسة !* فلا شك أن الله تعالى كان يحرس نبيهصلى الله عليه وآله بألطافه الخاصة ، كما رأيت في قصة غورث ، وفي مواجهة قريش واليهود وعملهم المستميت لقتله منذ بعثته وحتى وفاتهصلى الله عليه وآله، لكنه مع ذلك كان مأموراً باستعمال الأسباب الطبيعية ، فطلب الحماية من الناس ، واتخذ الحراسة في مكة والمدينة الى آخر عمره الشريف ، ولم يُلغ الحراسة كما زعموا .

والعصمة في الآية هي العصمة من ارتداد الناس إن هو أعلن ولاية علي والعترةعليهم السلام، وأن ينكروا نبوته ويقولوا إنه يريد تأسيس ملك لبني هاشم كملك كسرى وقيصر ! وكل ما قاله علماء الخلافة لإثبات أن العصمة في الآية عصمة من القتل وأن النبيصلى الله عليه وآله ترك الحراسة بعدها ، كذبٌ محض ، لإبعاد الآية عن ولاية عليعليه السلام ! فهم يعلمون أن النبيصلى الله عليه وآله كان يطلب من قبائل العرب أن تحميه من القتل الذي يراد به حتى يبلغ رسالة ربه ، وأن حراسته كانت في مكة ، ثم في المدينة ، واستمرت إلى آخر حياتهصلى الله عليه وآله ! قال اليعقوبي في تاريخه:٣٦/٢: (وكان رسول الله يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم شريف كل قوم ، لايسألهم إلا أن يؤووه ويمنعوه ويقول: لا أكره أحداً منكم

إنمـا أريد أن تمنعوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي ، فلم يقبله أحد ، وكانوا يقولون: قوم الرجل أعلم به) !

وفـي سـيرة ابـن هـشام:٢/٢٣: (يقـف علـى مـنازل القبائل من العرب فيقول..وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به).والطبري:٢/٨٣، وابن كثير:٢/١٥٥

واسـتمر على ذلك الى آخر عهده في مكة ، وطلب البيعة من الأنصار على حمايته وحماية أهل بيته مما يحمون أنفسهم وأهليهم .

قـال ابـن هـشام:٢/٣٨: (فتكلم رسول الله(ص)فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّـب في الإسلام ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم).والطبري:٢/٩٢، وأحمد:٣/٤٦١ وأسد الغابة:١/١٧٤، وابن كثير:٢/١٩٨ ..الخ.

وقد عقد المحدثون فصولاً لحراسته صلى الله عليه وآله وأسماء حراسه وقصصهم .

قـال صاحب عيون الأثر:٢/٤٠٢: (وحرسه يوم بدر حين نام في العريش: سـعد بـن معاذ ويوم أحد: محمد بن مسلمة ، ويوم الخندق: الزبير بن العـوام . وحرسـه ليلة بنى بصفية: أبو أيوب الأنصاري بخيبر...وحرسه بـوادي القرى: بلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس. وكان علـى حرسه(مسؤولاً) عباد بن بشر). وروى بخاري في فتح مكة:٥/٩١: (خرج أبـو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عـن رسـول الله... فـرآهم نـاس مـن حـرس رسـول الله فأدركـوهم فأخـذوهم).وروى أحمـد:٢/٢٢٢، حديثاً موثقاً أن أصحابه كانوا يحرسونه

في غزوة تبوك ، أي في أواخر عمره الشريف صلى الله عليه وآله !

ويضاف إلى ذلك أسطوانة الحرس التي ما زالت في المسجد النبوي بهذا الإسم ، منذ عام الوفود في السنة التاسعة . (ابن هشام:٢١٤/٤) !

فهل ينكرها المخالفون ليبعدوا الآية عن ولاية علي عليه السلام ؟! وهل تثنيهم الأدلة عن ذلك لأنهم أشربوا الإعراض عن علي عليه السلام ؟!

٧- خلاصة معنى الآية: *يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ*: ناداه باسمه المناسب لمهمته ، يقول له إنما أنت رسولٌ مبلغ ، ولست مسؤولاً عن النتيجة .

بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ: وأمرك به جبرئيل في علي عليه السلام، وحاولت تبليغه في حجة الوداع فشوش عليك المنافقون . ولم يقل بلغ ما سوف ينزل اليك لأنه أنزله ، ولم يبينه له لأنه بينه والنبي صلى الله عليه وآله يعرفه وكان يتحين الفرصة المناسبة أو التمهيد المناسب ، فأمره الله أن يبلغه الآن .

فالماضي(أُنزل) هنا حقيقي على أصله، ولا قرينة تصرفه الى المستقبل.

ولا يصح أن يكون تم تبليغه وإلا لما صح قوله: وإنْ لَمْ تَفْعَلْ ، ولا أن يكون كل الرسالة لأنه يكون بلا معنى كقولك: يا فلان بلغ رسائلي كلها ، فإنك إن لم تفعل لم تبلغ رسائلي !

أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ: لأنه أمر من شؤون الربوبية والإدارة .

وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ: لأن ما آمرك بتبليغه مكملٌ لرسالتك وضامنٌ لكل تبليغك ، فولاية عترتك من بعدك ليست أمراً شخصياً كما

يظـنها المنافقون ، بل جزءٌ لايتجزأ من هذه الرسالة الخاتمة الموحدة ، وإذا انتفى الجزء انتفى الكل ، وبدونها تبقى الرسالة ناقصة والناقص لا اعتبار به، ورسالتك كالصرح حَجَرُهُ الأخير هو الأساسه كحجره الأول.

وَاللهُ يَعْـصِمُكَ مِـنَ النَّاسِ: من أن يطعن القرشيون في نبوتك بسبب هـذا التبلـيغ الثقيل عليهم ، ويتهموك بأنك حابيت أسرتك واستخلفت عترتك ، فسوف نمنعهم من أن يرفضوا نبوتك ، وسيظهرون لك الطاعة ويـبايعون علياً وتمر المسألة بسلام ، إنْ عَلَيْكَ إلا الْبَلاغُ ، فأتم الحجة لربك ، ثم لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ .

فخـوف النبـيﷺ إنمـا كـان على الإسلام من أن ترتد عنه قريش وليس على نفسه ، وعصمته التي ضمنها الله تعالى هي حفظ نبوته عند قـريش وليـست عصمةً من القتل أو الجرح أو الأذى ، لذلك لم تتغير حراستهﷺ بعدها، ولا المخاطر والأذايا التي كان يواجهها بل زادت .

وقـال الفخـر الـرازي:٥٠/١٢: (واعلم أن المراد من الناس هاهنا الكفار بدليل قوله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...لايمكنُّهم مما يريدون).

ثـم ذكـر الرازي رواية عائشة في إلغاء النبيﷺ الحراسة ! وكلامه لايصح ، لأن عائشة تقصد تاريخاً قبل سورة المائدة ، ولأن لفظ الناس مطلـق ولا قرينة على حصره بالكفار ، وخطر المنافقين عند نزول الآية على النبيﷺ كان أشد من خطر غيرهم .

إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ: الذين يظلمون عترتك من بعدك ، ويبدلون نعمة الله كفراً، ويظلمون بذلك الأمة ويقودونها الى الصراع على الحكم ويسببون انهيارها ، الى أن يبعث الله المهدي من ولدك ! فالذين يطعنون في النبي صلى الله عليه وآله ويتهمونه بأنه ينطق عن الهوى ويحابي عترته ، هم كما قال عمار بن ياسر رحمه الله: (ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر ، فلما وجدوا عليه أتباعاً أظهروه) ! (مجمع الزوائد:١/١١٣) فلا يستحقون أن يهديهم الله ! لذلك ضمن إسكاتهم حتى يبلغ رسوله رسالته ويتم الحجة عليهم ! وقد وفى الله لرسوله صلى الله عليه وآله بما وعد ، فأعلن النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير خلافة علي والعترة عليهم السلام بصراحة ، وأمرهم أن يهنؤوه بتولية الله عليهم ، ففعلوا على كره ، ولم يطعن أحد منهم في نبوته صلى الله عليه وآله ! لكنهم عند وفاته صلى الله عليه وآله أقصوا علياً والعترة، وفعلوا ما فعلوا !

***والنتيجة:** أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يطلب الحماية من الناس لتبليغ رسالته ، على سنته عز وجل في أنبيائه عليهم السلام ، فحصل عليها من الأنصار، وكان يحمي نفسه بالحراسة . وقد نصره الله وهزم أعداءه المشركين واليهود ، وشملت دولته الجزيرة العربية الى أكراف الشام واليمن والبحرين وساحل الخليج . وصار جيشه يهدد الروم في الشام فلسطين ، وها هو صلى الله عليه وآله في السنة العاشرة يودع المسلمين ويتلقى آية تأمره بالتبليغ وتطمئنه بالعصمة من الناس ! فما عدا مما بدا ، حتى نزل*

الأمـر بالتبلـيغ في آخر التبليغ ! وصار النبي صلى الله عليه وآله الآن وهو قائد الدولة القـوية بحاجـة إلـى حمايـة وعصمة من الناس؟! إنها ليست الحماية المادية، فقد وفرها الله له بالأسباب الطبيعية وألطافه على أحسن وجه .

لكن تبليغه صلى الله عليه وآله لرسالة ربه في عترته عليهم السلام يحتاج الى حماية من قريش لأنهـا عنـيفة في حب السلطة وشرسة من أجلها ! فمصدر الخطر على تـرتيب النبي صلى الله عليه وآله لخلافته كان محصوراً في قريش وحدها لا غير ! فلا قبائل العرب ولا اليهود ولا النصارى ، يستطيعون التدخل في هذا الأمر الداخلي وإعطاء الرأي فيه ، فضلاً عن عرقلة تبليغه أو تنفيذه !

وكـأن النبي صلى الله عليه وآله كان آيساً من إمكانية تنفيذ الموضوع ، فهو يعرف طبيعة قريش وتعقيدها النفسي وإغراقها في المادية والمراوغة ، كقبائل اليهود الماديين المعقدين، الذين عانى منهم موسى والأنبياء عليهم السلام! لذلك أمره الله أن يتم عليهم الحجة ، وطمأنه بعصمته من ارتدادهم .

۞ ۞

آية إكمال الدين مع سياقها

قـال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالْعُقُود أُحلَّتْ لَكُمْ بَهيمَةُ الأَنْعَامِ إلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحلي الصَّيْد وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُريدُ . يَا أَيُّهَا الَّـذينَ آمَـنُوا لا تُحلُّوا شعَائرَ الله وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً منْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجد الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِـرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الآثْمِ وَالْعُدْوَان وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ شَديدُ الْعقَاب حُـرِّمَتْ عَلَـيْكُمُ الْمَيْـتَةُ وَالـدَّمُ وَلَحْمُ الْخنْزير وَمَا أُهلَّ لغَيْر الله به وَالْمُنْخَنقَةُ وَالْمَوْقُـوذَةُ وَالْمُتَـرَدِّيَةُ وَالنَّطـيحَةُ وَمَـا أَكَلَ السَّبُعُ إلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبحَ عَلَى النُّصُب وَأَنْ تَسْتَقْسمُوا بالأَزْلامِ ذَلكُمْ فسْقٌ الْيَوْمَ يَئسَ الَّذينَ كَفَرُوا منْ دينكُمْ فَـلا تَخْـشَوْهُمْ وَاخْـشَوْن الْـيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الآسْلامَ دينًا فَمَن اضْطُرَّ في مَخْمَصَة غَيْرَ مُتَجَانف لآثْم فَإنَّ اللهَ غَفُـورٌ رَحـيمٌ . يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحلَّ لَهُمْ قُلْ أُحلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ منَ الْجَوَارِح مُكَلِّبينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ ممَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا ممَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا إسم الله عَلَيْه وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ سَريعُ الْحسَاب). (المائدة:١-٤) .

هل نزلت الآية في وسط أحكام اللحوم ؟!

أول مـا يفاجـؤك غـرابة مكان الآية ! فقد رووا أنها نزلت في حجة الوداع آية مستقلة لاجزء آية ، وها هي في القرآن جزء من آية اللحوم

وكأنها حشرت حشراً فيها ، بحيث لو رفعتها لما نقص من معنى الآية شئ ، بل اتصل السياق !

ثم كيف نفسر هذا التناقض حيث قال سبحانه: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، أي تمَّت الأحكام ، ثم يقول بعدها: فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ.. ثم يواصل تنزيل أحكام اللحوم ، والصيد ، وطعام أهل الكتاب ، وأحكام الزواج والنساء ! فكيف أكمل دينه، ولم يكمله؟!

قال في الدر المنثور:٢/٢٥٧ و٥٩: (عن ابن عباس..فلما كان واقفاً بعرفات نزل عليه جبريل وهو رافع يده والمسلمون يدعون الله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ،يقول حلالكم وحرامكم فلم ينزل بعد هذا حلالٌ ولا حرامٌ.. عن السدي في قوله:الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، قال: هذا نزل يوم عرفة فلم ينزل بعدها حرامٌ ولا حلالٌ). فهل السياق بأمر النبي صلى الله عليه وآله؟ أم أن الآية وضعت هنا في وسط آية ، باجتهاد بعض الصحابة ؟!

باختصار: حيث لا توجد قرينة داخلية أو خارجية على اتصال السياق هنا ، فلا يمكن ربط الآية بما قبلها أو بعدها .

الأقوال الثلاثة في تفسير آية إكمال الدين

١- قول أهل البيت عليهم السلام: أنها نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة ، في رجوع النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ، عندما أمره الله

تعالى أن يوقف المسلمين في غدير خم ويبلغهم ولاية علي عليه السلام ، فأوقفهم وبلغهم ما أمره به ربه . وهذه نماذج من أحاديثهم عليهم السلام:

ماتقدم من الكافي:١/٢٨٩، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض). وفي الكافي:١/١٩٨: (عن عبد العزيز بن مسلم قال:كنا مع الرضا عليه السلام بمرو ، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا ، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه ، فتبسم عليه السلام ثم قال:يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم ، إن الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين ، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شئ ، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام ، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً فقال عز وجل: مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا، وأمر الإمامة من تمام الدين ، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق ، وأقام لهم علياً عليه السلام عَلَماً وإماماً ، وما ترك شيئاً تحتاج إليه

الأمة إلا بينه ، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ، ومن رد كتاب الله فهو كافر به ! هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟! إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم...إن الإمامة خصّ الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال:إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً، فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: وَمِنْ ذُرِّيَتِي؟قال الله تبارك وتعالى: لايَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة عليهم السلام..).

٢- *قول السنيين الموافق لأهل البيت عليهم السلام:* وقد رووا حديث الغدير بعشرات الروايات وفيها صحاح من الدرجة الأولى، *جمعها بعض علمائهم* كالطبري المؤرخ في كتابه (الولاية) فبلغت طرقها ونصوصها مجلدين ، وابن عقدة وابن عساكر وغيرهم . وتنص على أن النبي صلى الله عليه وآله دعا علياً وأصعده معه على المنبر ورفع يده حتى بان بياض إبطيهما وبلّغَ الأمة ما أمره الله تعالى فيه ، وأمر المسلمين أن يهنؤوه ويبايعوه ، وقال له عمر بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة !...إلخ . ونص بعضها على أن آية إكمال الدين نزلت يومها بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله . لكن أن أكثر علمائهم لم

يقبلوا أحاديث نزولها يوم الغدير ، مع أنهم صححوا أحاديث الغدير ، والسبب أنهم أخذوا بقول عمر ومعاوية، أنها نزلت يوم عرفة ! فحديث الغدير عندهم محل إجماع ونزول آية إكمال الدين فيه محل خلاف .

أما علماؤنا فجمع عدد منهم أحاديث الغدير وآياته ، ومن أشهرهم: النقوي الهندي في عبقات الأنوار ، والسيد المرعشي في شرح إحقاق الحق ، والسيد الميلاني في نفحات الأزهار ، والشيخ الأميني في كتابه الغدير ، وقد أورد عدداً من روايات السنيين في نزول الآية يوم الغدير وهذه خلاصة ما ذكره رحمه الله: (ومن الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الاسْلامَ دِينًا. ثم أورد عدداً من المصادر التي روتها، منها:

١ - الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب (الولاية) بإسناده عن زيد بن أرقم نزول الآية الكريمة يوم غدير خم في أمير المؤمنين عليه السلام...

٢ - الحافظ ابن مردويه الأصفهاني ، من طريق أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ...ثم رواه عن أبي هريرة .

٣ - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، في كتابه (ما نزل من القرآن في علي)...عن أبي سعيد الخدري: أن النبي(ص)دعا الناس إلى علي في غدير خم ، وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقمَّ ، وذلك يوم الخميس فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما ، حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله ، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.. الآية. إلخ .

٤ – الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه:٢٩٠/٨، عن أبي هريرة عن النبي(ص): من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، فأنزل الله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..الآية .

٥ – الحافظ أبو سعيد السجستاني، في كتاب الولاية ، عن أبي سعيد الخدري ...

٦ – أبو الحسن ابن المغازلي الشافعي ، في مناقبه عن أبي هريرة ...

٧ – الحافظ الحاكم الحسكاني، عن أبي سعيد الخدري: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، قال: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي .

٨ – الحافظ ابن عساكر الشافعي الدمشقي ، بطريق ابن مردويه، عن أبي سعيد وأبي هريرة . (الدر المنثور:٢٥٩/٢).

٩ – أخطب الخطباء الخوارزمي، في المناقب/٨٠ ... عن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن النبي صلى الله عليه وآله يوم دعا الناس إلى غدير خم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمَّ ، وذلك يوم الخميس ثم دعا الناس إلى علي ، فأخذ بضبعه فرفعها حتى نظر الناس إلى إبطيه ، حتى نزلت هذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.. الآية... وروى في المناقب/٩٤.

١٠ – أبو الفتح النطنزي روى في كتابه الخصايص العلوية ، عن أبي سعيد الخدري وجابر الأنصاري ...

١١ – أبو حامد سعد الدين الصالحاني ، عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ بغدير خم ، فقال رسول الله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي . رواه الصالحاني .

١٢ – شيخ الإسلام الحمويني الحنفي ، روى في فرايد السمطين). (الغدير: ٢٣٠/١).

٣- قول عمر ومعاوية أنها نزلت يوم عرفة

وهـو القـول المشهور عند السنيين، رواه بخاري في صحيحه:١/١٦: أن رجـلاً مـن اليهود قال لعمر: (يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لـو علينـا معـشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ! قال: أَيَّةُ آية ؟ قـال: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الاَسْلامَ دِينًا . قـال عمـر: قـد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبـي(ص) وهـو قائم بعرفة ، يوم جمعة). ونحوه في:١٢٧/٥، وفيه: (وهو واقـف فـي عـرفة... قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً ! فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت ، وأين رسـول الله(ص)حـين أنـزلت ، يوم عرفة وأنا والله بعرفة . قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة، أم لا). وفي بعضها أن اليهودي كعب الأحبار .

وقلـدت مـصادر السنيين الرسمية رواية بخاري هذه ، وتعصب لها علمـاؤهم ، ولم يَصْغَوْا لرد النسائي وسفيان الثوري وغيرهما أن يكون يـوم عـرفة فـي حجـة الـوداع يـوم جمعة ! ولا لرواياتهم الصحيحة المـتقدمة المـؤيدة لـرأي أهل البيت عليهم السلام! فيكفي عندهم أن يقول عمر إنهـا لم تنزل يوم الغدير ، بل في عرفات قبل الغدير بتسعة أيام ، فهو مقدم على كل اعتبار !

قال السيوطي في الإتقان:٧٥/١ ، في الآيات التي نزلت في السفر: (منها: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . في الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع، وله طرقٌ كثيرة لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري: أنها نزلت يوم غدير خم . وأخرج مثله من حديث أبي هريرة ، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة مرجعه من حجة الوداع. وكلاهما لايصح).ونحوه الدر المنثور:٢٥٩/٢.

أما لماذا لايصح فلأنه عمر قال غيره ! وهذا هو الموقف العام لمذاهب الخلافة ، فهم يقولون بصحة حديث الغدير، لكن الآية نزلت قبله ولم تنزل فيه ، حتى لو خالفه الحساب والتاريخ والجغرافيا !

ومن المتعصبين لرأي عمر في الآية: ابن كثير ، وخلاصة كلامه في تفسيره:١٤/٢: (عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة ، ولم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ . وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله(ص)بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً ، رواهما ابن جرير) .

ثم ذكر ابن كثير رواية مسلم وأحمد والنسائي والترمذي المتقدمة وقال: (قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا . وشك سفيان رحمه الله إن كان في الرواية فهو تورُّعٌ حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا ، وإن كان شكاً في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة فهذا ما أخاله يصدر عن الثوري فإن هذا أمر معلومٌ مقطوعٌ به لم يختلف فيه أحدٌ من أصحاب

المغـازي والـسير ولا مـن الفقهـاء ، وقـد وردت في ذلك أحاديث متواترة لايشك في صحتها والله أعلم . وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر وقـال ابـن جريـر.. عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال: قال كعب: لو أن غير هـذه الأمـة نـزلت عليهم هـذه الآيـة لنظـروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخـذوه عيداً يجتمعون فيه ! فقال عمر: أيُّ آيةٍ يا كعب؟ فقال: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه نـزلت فـي يـوم الجمعـة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيدٌ... وقال ابن جريـر.. حدثـنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية: الْـيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، حتى ختمها فقال: نزلت في يـوم عرفة ، في يوم جمعة.. وقال ابن جرير: وقد قيل ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس ! ثم روى من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: الْـيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، يقول ليس بيوم معلوم عند الناس . قال: وقد قيل إنها نزلت على رسـول الله(ص)فـي مـسيره إلى حجة الوداع) . ثم قال ابن كثير: (قلت: وقد روى ابـن مردويه من طريق أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله(ص)يوم غدير خم حين قال لعلي: من كنت مولاه فعلي مـولاه . ثـم رواه عـن أبي هريرة ، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعنـي مـرجعه (ص) مـن حجة الوداع . ولا يصح لاهذا ولا هذا بل الصواب الـذي لاشـك فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة كما روى ذلـك أميـر المؤمنـين عمـر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأول ملوك

الإسلام معاوية بن أبي سفيان ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وسمرة بن جندب ، وأرسله الشعبي ، وقتادة بن دعامة ، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء ، واختاره ابن جرير). انتهى.

وتلاحظ أن ابن كثير لا يريد الإعتراف بوجود تشكيكٍ في أن يوم عرفة كان يوم جمعة لأن ذلك يخالف قول عمر ، ولذلك التفَّ على نفي سفيان الثوري معتذراً بأنه تقوى واحتياط من الثوري ! ولم يذكر ما رواه النسائي، والطبري في تفسيره:١١١/٤، قال: (ثنا داود قال قلت لعامر: إن اليهود تقول:كيف لم تحفظ العرب هذا اليوم الذي أكمل الله لها دينها فيه؟ فقال عامر: أوَما حفظته؟ قلت له: فأي يوم؟قال: يوم عرفة أنزل الله في يوم عرفة ! وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية أعني قوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، يوم الإثنين وقالوا: أنزلت سورة المائدة بالمدينة. ذكر من قال ذلك...عن ابن عباس... وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ..).

آية إكمال الدين نزلت يوم الغدير وليس في عرفات !

نشكر الله أن المحدثين رووا كثيراً عن الوداع الرسولي المهيب ، الذي تم بإعلانٍ ربانيٍّ مسبق ، وإعدادٍ نبوي واسع ، وإن كانوا ضيعوا في أحاديثه هويةً الأئمة الإثني عشر ، وكثيراً مما يتعلق بالعترة عليهم السلام .

وقد سجلوا حركة النبي صلى الله عليه وآله من المدينة ، والأماكن التي مر بها أو توقف فيها ، ومتى دخل مكة وأدى المناسك ، ثم حركة رجوعه صلى الله عليه وآله

حتى دخل إلى المدينة ، وعاش فيها نحو شهرين هي بقية عمره الشريف صلى الله عليه وآله. وكله يؤكد قول أهل البيت عليهم السلام، ونجمل ذلك في نقاط:

أولاً: إن التعارض بين ما دلَّ على سبب نزول الآية ، ليس بين حديثين أحدهما أصح سنداً وأكثر طرقاً ، كما صور أو تصور ابن كثير والسيوطي والطبري وغيرهم ، بل تعارضٌ بين حديث نبوي رواه أهل البيت عليهم السلام وعدد من الصحابة ، وبين قولٍ لعمر ومعاوية رواه عنه بخاري وغيره ولم يسندوه إلى النبي صلى الله عليه وآله !

ولو تنزلنا وقلنا إن أحاديث أهل البيت أقوال لهم عليهم السلام يكون التعارض بين قول صحابي وقول أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولا شك في أن قولهم مقدم بحكم وصية النبي صلى الله عليه وآله بهم وأنهم عِدْلُ القرآن وأحد الثقلين ، بالحديث الصحيح المتواتر، كالذي رواه أحمد:١٤/٣:(عن أبي سعيد قال رسول الله (ص): إني تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض). ورواه أيضاً في:١٧/٣ و٢٦ و٥٩، و٣٦٦/٤ ، و٣٧١ ، والدارمي:٤٣١/٢ ، ومسلم ١٢٢/٧ ، والحاكم على شرط الشيخين ، و:١٠٩/٣ و١٤٨، وغيرهم.

ثانياً: إن جواب عمر لليهودي غير مقنعٍ لليهودي ولا للمسلم! لأنه إن قصد أن نزولها صادف يوم جمعة ويوم عرفة ! فيقول له اليهودي: إن كان ربكم لايعلم أنه يوم عيد فيا ويلكم من عبادته ! وإن يعلم

فكيف أنزل عيد إكمال الدين على عيد أو اثنين ، وهو يعلم أنهما سيأكلانه ؟! فلماذا خرَّب عليكم ربكم هذا العيد ؟!

وإن قصد عمر أن عيد إكمال الدين أدغم وصار مشتركاً في يوم واحد مع عيد عرفة والجمعة ، فأين هو إلا عند الشيعة ؟!

وأسوأ من ذلك أن يكون قصده أنه تعالى تعمد تذويب عيد إكمال الدين ، أو نسي فأنزله في يوم عيد ، فتدارك المسلمون الأمر بالدمج والإدغام أو التنصيف ! فمن الذي اتخذ قرار الإدغام ؟ ومن يحق له أن يدغم عيداً إلهياً في عيد آخر ، أو يطعم عيداً ربانياً لعيد آخر؟!

وما بال الأمة الإسلامية لم يكن عندها خبر بحادثة اصطدام الأعياد في عرفات حتى جاء هذا اليهودي في خلافة عمر ونبههم ، فأخبره عمر بأنه يوافقه على كل ما يقوله ، وأخبر المسلمين بقصة تصادم الأعياد في عرفات ، وأن الحكم الشرعي فيه الإدغام لمصلحة العيد السابق ، أو إطعام العيد اللاحق للسابق !

وهل هذه الأحكام للأعياد أحكامٌ إسلامية ربانية ، أم عمرية اعتباطية شبيهاً بقانون تصادم الأعياد الوطنية والدينية ، أو تصادم السيارات ؟!

لقد اعترف عمر بالمشكلة التي طرحها اليهودي ، لكنه لم يحلها !

ثم رتب عليها أحكاماً من عنده لم يقل إنه سمعها من النبي صلى الله عليه وآله !

وأصل مشكلته أنه اعترف بأن يوم نزول الآية يوم عظيمٌ ومهمٌّ في

دين الإسلام، لأنه يوم أكمل الله فيه تنزيل الإسلام وأتمَّ فيه النعمة على أمـته ، وأنه يستحق أن يكون عيداً شرعياً للأمة تحتفل فيه وتجتمع فيه كبقية أعيادها الشرعية الثلاث: الفطر والأضحى والجمعة ، بل ادعى أنه عـيد فعـلاً ! ووافـق كعباً على أنه لو كان عند أمة أخرى لأعلنته عيداً ربانـياً شـرعياً. وعليه يجب أن يكون عيد إكمال الدين شرعياً في فقه السنيين، يضاف إلى عيدي الفطر والأضحى وعيد الجمعة ، فأين هو ؟!

ثالـثاً: إن قـول عمـر فـي الآيـة مردود لأنه متناقض ! فقد فهم هذا الـيهودي مـن الآية أن الله أكمل تنزيل الإسلام وختمه يوم نزول الآية وقبل عمر منه هذا التفسير ، ومعناه أن نزولها بعد نزول جميع الفرائض والأحكـام ، فـصح عـنده ما قاله أهل البيت عليهم السلام وما قاله السدي وابن عباس وغيرهما من أنه لم تنزل بعدها فريضةٌ ولا حكم .

ثـم قـال عمر وبسند صحيح: لكن نزل بعدها آيات الكلالة وأحكام الإرث وغيرها ،كما يأتي في بحث آخر ما نزل من القرآن ، فوجب أن يقول لليهودي: ليست الآية آخر ما نزل ليكون يومها عيداً !

ومـن ناحـية ثانـية، فـتح عمـر علـى نفسه وأتباعه فقهاء المذاهب المطالبة بعيد الآية ! الذي لاعين له ولا أثر ولا إسم ولا رسم عندهم !

ومـن ناحـية ثالـثة ، نقـض عمر إجماع المسلمين على أن الأعياد الإسلامية توقيفية ، ولا يجوز لأحد أن يشرع عيداً من نفسه؟!

فحجة الشيعة في جعل يوم الغدير عيداً أنهم رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أن يوم الآية عيدٌ شرعي، وأن جبرئيل أخبره بأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأمرون أممهم أن تتخذ يوم نصب الوصي عيداً . فما هي حجة عمرفي تأييد كلام اليهودي وموافقته على أن ذلك اليوم يستحق أن يكون عيداً شرعياً للأمة ! ثم أخذ يعتذر له بمصادفة نزولها في يوم عيد..الخ.!

فإن كان حَكَمَ بذلك من عند نفسه فهو تشريع وبدعة ! وإن كان سمعه من النبي صلى الله عليه وآله فلماذا لم يروه ولا رواه غيره ، إلا الشيعة ؟!

والواقع أن عمر تورط في(آية علي بن أبي طالب)من نواح عديدة ولم يخرج من ورطتها ، ولا أتباعه ، الى يومنا هذا !

رابعاً: الرواية عن عمر متعارضة ، وهذا يوجب سقوطها ، فقد رووا عنه بسند صحيح أن يوم عرفة كان يوم خميس ! (قال يهودي لعمر: لو علينا نزلت هذه الآية لاتخذناه عيداً: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ! قال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه والليلة التي أنزلت ، ليلة الجمعة ونحن مع رسول الله بعرفات) ! رواه النسائي:٢٥١/٥، وروى في:١١٤/٨ ، أنها نزلت في عرفات يوم جمعة !

خامساً: جزم سفيان الثوري جازماً أن يوم عرفة في حجة الوداع لم يكن يوم جمعة ! قال بخاري في روايته: *(قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا)*. وإنما قال (وأشك) مداراة لجماعة عمر الذين رتبوا كل

أحـداث حجـة الوداع وأحداث التاريخ الإسلامي على أن يوم عرفات كـان يـوم جمعـة ! وستأتي رواية النسائي في ذلك وتوافقها روايات نصت على أن الآية نزلت يوم الإثنين، ففي دلائل البيهقي:٢٣٣/٧: (عن ابن عباس قال: ولد نبيكم صلى الله عليه وآله يوم الإثنين ، ونبئ يوم الإثنين ، وخرج من مكـة يـوم الإثنـين ، وفتح مكة يوم الإثنين ، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وتوفي يوم الإثنين).قال في الزوائد:١٩٦/١: (رواه أحمد والطبراني في الكبير وزاد فيه: وفتح بدراً يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف،وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح).

وعلة الحديث عندهم مخالفته لعمر، وليس ابن لهيعة الذي وثقه عدد مـنهم ، وللحـديث طرقٌ بدون ابن لهيعة ، وقد صرح بذلك السيوطي وابـن كثيـر ! قال في سيرته:١٩٨/١: (تفرد به أحمد ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة ، وزاد: نزلت سورة المائدة يوم الإثنين: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيـنَكُمْ ، وهكـذا رواه بعـضهم عـن موسـى بن داود به ، وزاد أيضاً: وكانـت وقعة بدر يوم الإثنين . وممن قال هذا يزيد بن حبيب ، وهذا منكـرٌ جـداً ! قال ابن عساكر: والمحفوظ أن بدراً ونزول: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُـمْ دِينَكُمْ، يوم الجمعة، وصدق ابن عساكر). *ومعنى (منكر) أنه مخالف لعمر ، ومعنى (المحفوظ) أي الرسمي الذي يُدَرِّسونه لرواتهم !*

واخيـراً، إن إشكالنا عليهم بأحاديث نزول الآية يوم الإثنين ، إلزامٌ لهم بما صـححوه ، وإلا فالمعـتمد عندنا أنها نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي

الحجة وأن وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانت في الثامن والعشرين من صفر ، فتكون الفاصلة بينهما نحو سبعين يوماً. وعندنا أن بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانت يوم الإثنين وصلى عليٌّ عليه السلام معه يوم الثلاثاء ، ووفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يوم الإثنين، وقد تكون سورة المائدة نزلت يوم الإثنين أي أكثرها ، ثم بقيتها ومنها آيتا التبليغ وإكمال الدين .

سادساً: أن عيد المسلمين يوم الأضحى وليس عرفة، لكن عمر جعله يوم عرفة ، وهو بميزان الوهابية بدعة ! فعلى رواية النسائي أن الآية نزلت ليلة عرفة ، لا يبقى عيد حتى يصطدم به العيد النازل ، ولا يحتاج الأمر إلى إدغام الأعياد أو تنصيفها ، كما ادعى عمر !

سابعاً: لو كان يوم عرفة يوم جمعة كما صححوا عن عمر ، لصلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالمسلمين صلاة الجمعة، بينما لم يروِ أحدٌ أنه صلاها في عرفات ، وأجمعوا على أنه صلى الظهر والعصر كالنسائي وغيره ! وقد وضع في سننه:١/٢٩٠، عنواناً بإسم *(الجمع بين الظهر والعصر بعرفة)* روى فيه عن جابر بن عبد الله قال: (سار رسول الله (ص) حتى أتى عرفة... ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً)! وفي رواية أبي داود:١/٤٢٩:(فجمع بين الظهر والعصر)..

فلو كان عرفة يوم جمعة ولم يصلها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لذكر ذلك ألوف المسلمين الذين حضروا حجة الوداع !

ثامناً: تورط علماء الجرح والتعديل السنيون في حديث أبي هريرة

الذي رواه الخطيب والحسكاني وابن عساكر وابن المغازلي وابن كثير والخوارزمي بأسانيد عن أبي هريرة، في أن آية إكمال الدين نزلت يوم غدير خم بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله ووصيته الأمة بالقرآن والعترة ، وبعد أن رفع يد علي عليه السلام وأعلنه خليفة من بعده ! فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله أمرهم أن يصوموا ذلك اليوم شكراً لله تعالى، *قال: (من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي(ص) بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال: من كنت مولاه فعلي مولاه . فقال عمر بن الخطاب بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ! فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا)*.(تاريخ دمشق:٢٣٣/٤٢، وغيره).

وسبب تحيرهم أنهم لايمكنهم الطعن في سند الحديث ، لأن رجاله موثقون من رجال الصحاح ! ولا يمكنهم قبوله لأن عمر أنكر أن تكون الآية نزلت في يوم الغدير وقال نزلت قبله بأيام ! بينما أبو هريرة ينسف كل ذلك وينسف السقيفة ويقول: نزلت ولاية علي من الله تعالى وبلغها النبي صلى الله عليه وآله فنزلت آية إكمال الدين ، وهنأه عمر وبخبخ له !

وعادة المتعصبين لعمر عندما يقعون في مأزق أن يفقدوا توازنهم ويردوا الحديث النبوي المخالف لقول عمر حتى (دفعاً بالصدر) وهو

مصطلح لمن رد حديثاً بلا حجة تشبيهاً له بمن يدفع أحداً في صدره ! ويصفون الحديث بأنه منكر أو مكذوب لأنه يخالف قول عمر، كما فعل الذهبي وابن كثير ! قال السيد حامد النقوي في خلاصة عبقات الأنوار:٢٤٦/٧: (رويّ حديث صوم يوم الغدير بطريق صحيح رجاله كلهم ثقات . فقد أخرج الحافظ الخطيب ، عن عبد الله بن علي بن محمد بن بشران ، عن علي بن عمر الدار قطني ، عن أبي نصر حبشون الخلال ، عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوذب، عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم..الخ.). وعدَّد الأميني رحمه الله في الغدير:٢٣٦/١ ، ستة عشر من علماء السنة رووا الحديث . وقال: (رواية أبي هريرة صحيحة الإسناد عند أساتذة الفن . منصوص على رجالها بالتوثيق... وحديث أبي سعيد له طرق كثيرة كما مر في كلام الحمويني في فرائده . على أن الرواية لم تختص بأبي سعيد وأبي هريرة فقد عرفت أنها رواها جابر بن عبد الله. والمفسر التابعي مجاهد المكي . والإمامان الباقر والصادق صلوات الله عليهما . وأسند إليهم العلماء مخبتين إليها... وقد سمعت عن السيوطي نفسه في دره المنثور رواية الخطيب وابن عساكر وعرفت أن هناك جمعاً آخرين أخرجوها بأسانيدهم مثل الحاكم النيسابوري ، والحافظ البيهقي ، والحافظ ابن أبي شيبة ،

والحـافظ الدارقطنـي ، والحـافظ الديلمـي ، والحافظ الحداد وغيرهم ، كل ذلـك مـن دون غمز فيها من أي منهم).انتهى. فكلام ابن كثير وشيخه الذهبي غيـر صـحيح ، أمـا العجلوني (كشف الخفاء:٢/٢٥٨)فكان أكثر إنصافاً منهما فنقل تكذيب الذهبي للحديث بدليل واه ولم يؤيده ولا ذكر أسانيده الصحيحة !

أما من طرقنا فروته مصادرنا المعتبرة، كأمالي الصدوق/٥٠ ، والكافي:٤/١٤٨، ونحوه الفقيه:٢/٩٠ ، وتهذيب الأحكام:٤/٣٠٥ ، وثواب الأعمال/٧٤ .

تاسـعاً: قالـت بعـض روايـاتهم إن النبيﷺعاش بعد نزول الآية

إحـدى وثمانين ليلةً، وهذا ينفي أن يكون يوم عرفة يوم جمعة ! فوفاة النبيﷺعندهم في الثاني عشر من ربيع الأول،فيكون من٩ ذي الحجة إلـى١٢ربـيع الأول أكثـر من تسعين يوماً ! فإما أن يوافقونا على رواية وفاتـه قـبل ذلـك وأنها في٢٨ صفر ، أو يوافقونا على نزول الآية يوم الغديـر١٨ذي الحجـة ! قال في الدر المنثور:٢/٢٥٩: (عن ابن جريج قال: مكث النبي(ص)بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليلة ، قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾). ونحوه البيهقي في شعب الإيمان:٢/٢٥٧ . وفي تلخيص الحبير بهامش مجموع النووي:٧/٣: عن ابن جريح أنه(ص) لم يبق بعد نزول قوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم ، إلا إحدى وثمانين ليلة . والطبراني في الكبير برقم١٢٩٨٤، وتفسير الطبري:٤/١٠٦، عن ابن جريح قال: مكث النبيﷺبعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليلة . وراجع الغدير:١/٢٣٠ .

عاشـراً: القـول بـأن يوم عرفة كان يوم جمعة ، تنفيه الروايات التي

سـجلت حـركة النبيﷺمن المدينة وأنها كانت الخميس لأربعٍ بقين

من ذي القعدة. وهو المشهور عن أهل البيت عليهم السلام وهو منسجم مع تاريخ نزول الآية في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة . فسفر النبي صلى الله عليه وآله كان يوم الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة ، لأربع بقين من ذي القعدة هي: الخميس والجمعة والسبت والأحد.. فيكون أول ذي الحجة الإثنين، ووصول النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة عصر الخميس سلخ الرابع من ذي الحجة كما نصت رواية الكافي:٢٤٥/٤ ، ويوم عرفة الثلاثاء ، والغدير الخميس الثامن عشر من ذي الحجة . ففي الوسائل:٣١٨/٩: (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله لأربعٍ بقين من ذي القعدة، ودخل مكة لأربعٍ مضين من ذي الحجة ، دخل من أعلى مكة من عقبة المدنيين، وخرج من أسفلها).

وفي الكافي:٢٤٥/٤: (عن أبي عبدالله عليه السلام قال: حج رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين حجة...إن رسول الله أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل الله عز وجل عليه: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يحج في عامه هذا ، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب...فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل...حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربع من ذي الحجة فطاف بالبيت سبعة أشواط). وفي المسترشد/١١٩: (عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا

الناس إلى علي عليه السلام بغدير خم وأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فَقُمَّ ، وذلك يوم الخميس ، ثم دعا الناس وأخذ بضبعيه ورفعه حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه ، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي وبالولاية لعلي من بعدي).انتهى.

ويؤيد قول أهل البيت عليهم السلام رواية عيون الأثر:٣٤١/٢ ، أن سفر النبي صلى الله عليه وآله كان الخميس ، وما روته مصادر الفريقين من أنه صلى الله عليه وآله كان لايبدأ سفره إلا يوم خميس ، أو قلما يبدؤه في غيره . (بخاري:٦/٤ ، وأبو داود:٥٨٦/١).

ويؤيده روايتهم عن جابر أن حركته صلى الله عليه وآله كانت لأربعٍ بقين من ذي القعدة كما في سيرة ابن كثير . وأن بخاري وأكثر الصحاح رووا أن سفره صلى الله عليه وآله كان لخمسٍ بقين من ذي القعدة بدون تحديد يوم . راجع صحيح بخاري:١٤٦/٢ و١٨٤ و ١٨٧ و٧/٤ وفيه: وقدم مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة ، والنسائي:١٥٤/١ و٢٠٨ و١٢١/٥ ، ومسلم:٣٢/٤ ، وابن ماجة:٩٩٣/٢ ، والبيهقي:٣٣/٥ ، وغيرها .

ويؤيده أن مدة سيره صلى الله عليه وآله من المدينة إلى مكة لاتزيد على ثمانية أيامٍ وذلك بملاحظة الطريق الذي سلكه ، وهو في حدود ٤٠٠ كيلومتراً وملاحظة سرعة السير حتى أن بعض الناس شكوا له تعب أرجلهم فعلمهم النبي صلى الله عليه وآله أن يشدوها ! وأن أحداً لم يرو توقفه في طريق مكة

أبـداً . وبـذلك تـسقط روايـة خروجه من المدينة لستٍّ بقين من ذي الحجـة ، كما في عمدة القاري، وإرشاد الساري، وهامش الحلبية:٣/٢٥٧ لأنها تستلزم أن تكون مدة السير إلى مكة عشرة أيام !

وبهذا يتضح تكلف المخالفين حيث اعتمدوا رواية (خمس بقين من ذي القعـدة) وحاولوا تطبيقها على يوم السبت ليجعلوا أول ذي الحجة الخميس، ويجعلوا يوم عرفة يوم الجمعة تصديقاً لقول عمر ! بل كانوا ملكيـين أكثـر مـن الملك لأنه روي عنه أنه الخميس. لاحظ ابن سعد في الطبقات:٢/١٢٤، والواقدي في المغازي:٢/١٠٨٩ ، وتاريخ الطبري:٣/١٤٨ ، وتاريخ الذهبي:٢/ ٧٠١ ، وهامش السيرة الحلبية:٣/٣ ، وغيرهم . وقد حاول ابن كثير الدفاع عن هذا القول الحكومي ، وارتكب التكلف والمصادرة ، راجع سيرته:٤/٢١٧.

والنتـيجة: أن القول بنزول آية إكمال الدين في يوم عرفة ، ترد عليه إشـكالاتٌ عديدةٌ ، في منطقه وتاريخه وتوقيته ، وكلها تستوجب تركه وعـدم الأخـذ بـه ، فيكون رأي أهل البيت عليهم السلام ومن وافقهم في سبب نزولها بدون معارض معتد به ، لأن المعارض الذي لايستطيع النهوض كعدمه ، والمتن الكسيح لاينهضه السند الصحيح !

عيد الغدير عيدٌ سنيٌّ أيضاً

خـتاماً: إن المجمع عليه عند المسلمين أن يوم نزول الآية عيدٌ إلهيٌّ عظيم *(عيد إكمال الدين وإتمام النعمة)*. بل ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنه

أعظم الأعياد الإسلامية على الإطلاق ، ودليله المنطقي أن العيد الأسبوعي للمسلمين مرتبط بصلاة الجمعة ، وعيد الفطر بعبادة الصوم، وعيد الأضحى بعبادة الحج . أما هذا العيد فهو مرتبطٌ بإتمام الله تعالى نعمة الإسلام كله على الأمة، وقد تحقق في رأي السنيين بتنزيل أحكام الدين وإكمالها بدون تعيين رباني لقيادة الأمة . وتحقق برأينا بإكمال تنزيل الأحكام وحل مشكلة القيادة وإرساء نظام الإمامة في عترة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة . فالكل المسلمين متفقون على أنه عيدٌ شرعي ، فلماذا تخسر الأمة أعظم أعيادها ، ولا يكون له ذكر في مناسبته ولا مراسم تناسب شرعيته وقداسته؟! ولماذا لا يحييه أتباع المذاهب السنية بالشكل الذي ينسجم مع عقيدتهم وفقه مذاهبهم ؟!

أسباب النزول تكشف تحريفات السلطة

باستطاعتك أن تكشف رواة السلطة من أحاديث أسباب النزول أكثر من غيرها ، لأن الجانب الرياضي فيها أوضح ! فعندما تجد خمسة أسباب في نزول آية ، متنافية في المكان والزمان والحادثة ، لايمكن أن تقبلها وتقول كلها صحيحة ورواتها صحابة عدول وكلهم نجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا ! بل لابد أن يكون السبب واحداً ، والباقي غير صحيح ، أو كلها غير صحيحة ! لذا أدعو الباحثين في تفسير القرآن

وعلومه الى العمل في هذا الحقل ليقدموا إلى الأمة والأجيال نتائج جديدة في فهم القرآن والسيرة ، بل في فهم العقائد والفقه والإسلام .

ولهذا أكد أمير المؤمنين عليه السلام على أهمية معرفة أسباب النزول ، لأنها تميز الحق من الباطل وتضع حداً للمحرفين المبطلين ! قال عليه السلام: (كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أجابني، وإن فنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنياً ولا آخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة، إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ وكتبتها بيدي ، وعلمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ، وكيف نزلت وأين نزلت وفين أنزلت ، إلى يوم القيمة ، ودعا الله لي أن يعطيني فهماً وحفظاً ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا على من أنزلت). (بصائر الدرجات/٢١٨) .

ومن أوضح الأمثلة لأسباب النزول ، مسألة آخر ما نزل من القرآن !

فقد تتفهم أن يختلف المسلمون في أول ما نزل من القرآن، لأنهم لم يكونوا مسلمين يومها، ثم لم يكتبوا عن النبي صلى الله عليه وآله ماعدا علي عليه السلام ! ثم منعتهم السلطة من كتابة سنة النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته ، فأوقعت الأجيال في مشكلات لاآخر لها !

لكن العجيب اختلافهم في آخر ما نزل من القرآن ، وقد كانوا دولةً وأمةً ملتفَّةً حول نبيها ، وقد أعلن لهم أنه راحل عنهم عن قريب ،

وحج معهم حجة الوداع ، ومرض قبل وفاته أسبوعين ، وودعوه وودعهم ! فلماذا اختلفوا في آخر ما نزل عليه ؟

الجواب: إنها الأغراض السياسية التي دخلت في كل شئ !

آخر ما نزل من القرآن: سورة المائدة وآيات الغدير

اتفق أهل البيت عليهم السلام على أن آخر ما نزل من القرآن سورة المائدة فروى العياشي في تفسيره:١/٢٨٨ ، عن علي عليه السلام قال: (كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً ، وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بآخره . فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شئ . لقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها، حتى رأيت سُرَّتها تكاد تمسُّ الأرض، وأغميَ على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجمحي، ثم رفع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وعملنا). وقصده عليه السلام أن المسح على القدمين في الوضوء هو الواجب وليس غسلهما، لأنه نزل في سورة المائدة .

وفي الكافي:١/٢٨٩، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أمر الله عز وجل رسوله بولاية علي وأنزل عليه: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وفرض ولاية أولي الأمر فلم يدروا ما هي؟ فأمر الله محمداً صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم الولاية كما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول

الله صلى الله عليه وآله وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه ، فضاق صدره وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، فصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم فنادى الصلاة جامعة وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب. قال عمر بن أذنية: قالوا جميعاً غير أبي الجارود وقال أبو جعفر عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز وجل:الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي . قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض) . وفي تاريخ اليعقوبي:٤٣/٢: (وقد قيل إن آخر ما نزل عليه: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً . وهي الرواية الصحيحة ، الثابتة الصريحة).

رأي السنيين الموافق لرأي أهل البيت عليهم السلام في سورة المائدة

روووا عن عائشة بسند صحيح ما يوافق رأي أهل البيت عليهم السلام، قالت: (إن سورة المائدة آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها حلالاً فحللوه ، وما وجدتم فيها حراماً فحرموه). (أحمد:١٨٨/٦ ، وسنن البيهقي:١٧٢/٧ ، وطبقات الحنابلة:٤٢٧/١ . والحاكم:٣١١/٢ ، على شرط الشيخين ، والمحلى:٤٠٧/٩ ، وفي الغدير:٢٢٨/١: ونقل ابن كثير من طريق أحمد والحاكم والنسائي . ومجمع الزوائد:٢٥٦/١ عن ابن عباس: فإنها أحكمت كل شئ ، وكانت آخر سورة نزلت من القرآن) . فالمتسالم عند أهل البيت عليهم السلام أن آخر ما نزل من القرآن المائدة وتؤيده رواياتٍ صحيحة في مصادر السنة . بل إن آية

الْـيَوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِيـنَكُمْ.. تكفـي وحدها دليلاً على أنها آخر ما نزل من القـرآن ، لأنهـا تقول إن نزول الأحكام قد تم، وتنفي نزول أي حكم بعدها ، مضافاً الى ما تقدم من النص على ذلك .

ودخلت السياسة على الخط فظهرت الهرطقة !

سـئل الخليفة عمر ذات يوم عن بعض أحكام الربا فلم يعرفها فقال: متأسـف ، فآيـة الربا آخر آية نزلت ، وتوفي النبي(ص) ولم يبينها لنا ! ومن يومها صار ختام ما نزل من القرآن مردداً بين المائدة وآيات الربا ! وصارت المائدة (من) آخر ما نزل ، وليس آخر ما نزل !

ففي الدر المنثور: ٢٥٢/٢، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (المائدة (من) آخر القرآن تنزيلاً فأحلـوا حلالهـا وحرموا حرامها). *فهل عرفت أن (من) موظفة من الحكومة لتـصديق قـول الخلـيفة ؟* ولكـن آيـة الربا التي قال عمر إنها آخر ما نزل ! موجـودة فـي أربـع سور: في الآيتين ٢٧٥ و٢٧٦ من سورة البقرة والآية ١٦١ من سـورة النـساء ، والآيـة ٣٩ من سورة الروم ، والآية ١٣٠ من سورة آل عمران.. وبعض هذه السور مكي وبعضها مدني ! فأي آية منها قصد الخليفة ؟!

هـنا تبـرع الموظفـون فقالـوا إنـه يقصد الآية ٢٧٨ من سورة البقرة ! فصار مذهـبهم أن آخر آية نزلت من القرآن وضعت في سورة البقرة التي نزلت في أول الهجـرة ! وصـار تحـريم الربا تشريعاً إضافياً ، لأنه نزل بعد آية إكمال الـدين ! وكأنهم لا يرون بأساً بهذا التهافت في نزول القرآن ، لأنهم يدافعون

بذلك عن عمر الذي يعتقدون أنه خليفة النبيصلى الله عليه وآله!

قال أحمد:٣٦/١: (قال عمر: إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا وإن رسول الله قبض ولم يفسرها، فدعوا الربا والريبة). وكنز العمال:١٨٦/٤، عن تسع مصادر .

وقال السرخسي في المبسوط:٥١/٢ و١١٤/١٢: (فقد قال عمر رضي الله عنه:إن آية الربا آخر ما نزل وقبض رسول الله قبل أن يبين لنا شأنها) ! *فكلام عمر يجب أن يكون صحيحاً، حتى لو استوجب تكذيب القرآن في إكمال الدين ، واستوجب تقصير النبيصلى الله عليه وآله في بيان الوحي !* وقال في الإتقان:١٠١/١: (وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت آية الربا . وروى البيهقي عن عمر مثله..وعند أحمد وابن ماجة عن عمر: من آخر ما نزل آية الربا). انتهى.

ولكن إضافتهم (من) في حديث لاتحل المشكلة ، لأن غيره ليس فيه (من) !

مصيبة الكلالة عند عمر أكبر من مصيبة الربا

وذات يوم ، لم يعرف الخليفة عمر معنى الكلالة واستعصى عليه فهمها وداخ فيها ! فقال إنها آخر آية نزلت وتوفي النبيصلى الله عليه وآله ولم يبينها له ، أو بينها له بياناً ناقصاً ! روى بخاري:١١٥/٥: (عن البراء قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة ، وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ.. ونحوه:١٨٥/٥. وفي الإتقان: ١٠١/١: (فروى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ، وآخر سورة نزلت براءة). ونحوه أحمد:٢٩٨/٤. ومن يومها دخلت آية الكلالة على الخط ! وصار ختام ما نزل مردداً بين آيات الربا والكلالة ، والمائدة وإكمال الدين !

وقد راجعت ما تيسر لي من مصادرهم في الربا والكلالة ، فهالتني مشكلة الخليفة معهما وخاصةً الكلالة ، حتى أنه جعلها قضية هامة على مستوى قضايا الأمة الكبرى، وكان يطرحها على المنبر حتى آخر أيامه ويوصي المسلمين بحلها ! وهو أمر غريب يدل على شعوره العميق بالحرج أمام المسلمين لعدم تمكنه من استيعابها !

ففي صحيح بخاري:٢٤٢/٦: (عن ابن عمر قال: خطب عمر على منبر رسول الله فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء: العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل . والخمر ما خامر العقل . وثلاث وددت أن رسول الله(ص) لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجد ، والكلالة ، وأبواب من أبواب الربا). ومسلم في:٨١/٢، بتفصيل ، ونحوه في:٦١/٥ و٢٤٥/٨ ، ورواه ابن ماجة في:٩١٠/٢ وفي الدر المنثور:٢٤٩/٢: وأخرج عبد الرزاق ، والبخاري ، ومسلم ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن عمر..الخ.

ويدل هذا الصحيح المؤكد على أن عمر لم يسأل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلالة، وصرح به الحاكم وصححه:٣٠٣/٢ ، أن عمر قال: (لأن أكون سألت رسول الله عن ثلاث أحب إلي من حمر النعم: عن الخليفة بعده ، وعن قوم قالوا نقرٌّ بالزكاة في أموالنا ولا نؤديها إليك أيحل قتالهم ، وعن الكلالة).

لكن صحيح مسلم المؤكد أيضاً روى قول عمر إنه سأل النبي صلى الله عليه وآله عنها مراراً ! قال مسلم في:٦١/٥: (أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة فذكر نبي الله وذكر أبا بكر ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلالة ! ما راجعت رسول الله(ص)في شئ ما راجعته في الكلالة ، وما أغلظ لي في شئ

ما أغلظ لي فيه ، حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: يا عمر ألا تكفيك آية الـصيف التي في آخر سورة النساء؟! وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بهـا مـن يقرأ القرآن ومن لايقرأ القرآن).انتهى. فقد سأل النبي ﷺ عنها مراراً فوضـحها له لكنه كرر سؤاله حتى غضب عليه النبي ﷺ لعدم فهمه لشرحه! ويـدل الصحيحان التاليان على أن النبي ﷺ أخبره أنه لن يفهم الكلالة طول عمره أو دعا عليه بذلك ! ففي الدر المنثور:٢/٢٥٠: (وأخرج العدني والبزار في مـسنديهما ، وأبـو الشيخ في الفرائض ، بسند صحيح عن حذيفة قال: نزلت آيـة الكلالـة علـى النبي في مسيرٍ له فوقف النبي(ص) فإذا هو بحذيفة فلقَّاها إيـاه ، فنظر حذيفة فإذا عمر فلقَّاها إياه ، فلما كان في خلافة عمر نظر عمر فـي الكلالـة فـدعا حذيفـة فـسأله عنها فقال حذيفة: لقد لقَّانيها رسول الله فلقَّيتك كما لقَّاني، والله لا أزيدك على ذلك شيئاً أبداً). وفي كنز العمال:١١/٨٠ أن عمـر سـأل رسول الله: كيف يورث الكلالة؟قال: أو ليس قد بين الله ذلك ثـم قـرأ: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الـسُّدُسُ ، فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْـنٍ غَيْـرَ مُـضَارٍّ وَصِـيَّةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ . فكأن عمر لم يفهم فأنزل الله:يَـسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . فكأن عمر لم يفهم فقال لحفصة: إذا رأيت من رسول الله

طيب نفس فاسأليه عنها ! فقال: أبوك ذكر لك هذا؟ ما أرى أباك يعلمها أبداً ! فكان يقول: ما أراني أعلمها أبداً ، وقد قال رسول الله (ص) ما قال ! وذكر صحة الحديث . بل روى في الدر المنثور:٢٤٩/٢: أن النبيصلى الله عليه وآله قد كتبها لعمر في كتف، أي جلد معد للكتابة ! قال: (وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن مردويه عن طاوس ، أن عمر أمر حفصة أن تسأل النبي عن الكلالة فسألته فأملاها عليها في كتف وقال: من أمرك بهذا أعمر، ما أراه يقيمها أوما تكفيه آية الصيف؟! قال سفيان: وآية الصيف التي في النساء: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ.. فلما سألوا رسول الله نزلت الآية التي في خاتمة النساء). كما رووا أن عمر ألف في الكلالة كتاباً ، ثم مزقه !

فتأمل هذه التناقضات الصحيحة السند في حديث عمر والكلالة ! والمسائل الثلاث التي قال بخاري لم يبينها النبيصلى الله عليه وآله للأمة ولا سأل عمر عنها النبيصلى الله عليه وآله، كيف رووا أن النبيصلى الله عليه وآله كتبها لعمر !

إن دلالات هاتين القصتين متعددة وخطيرة ، تستحق أن يكتب الباحث فيها عشرات الصفحات ! *ونكتفي منها:* بأن صحاح الخلافة فيها متناقضاتٌ لايمكن لعاقل أن يقبلها ، بل لابد أن يرد بعضها أو جميعها ! وكيف يمكن أن تقبل أن عمر لم يسأل النبيصلى الله عليه وآله عن آية لأنها آخر آية نزلت ، ثم سأله عنها فكتبها له ، ثم سأله عنها مراراً فشرحها له فلم يفهمها ،

حتى غمزه بإصبعه في صدره وغضب منه ! وأن تقبل أن الكلالة آخر آية نزلت ، وآيات الربا ، وأنهما نزلتا بعد إكمال الدين وانتهاء تنزيل أحكامه ! فهل معنى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ: عفواً ، لم أكمل أحكام الإرث والربا..الخ!

ونكتفي منها: بأن سلطة عمر على السنيين بلغت حداً تجعل ادعاءه غير المعقول معقولاً ! وتجعل وظيفة علمائه تكييف الإسلام وأحداث نزول آيات القرآن حسب ما قاله حتى لو تناقضت أقواله واتهمت النبي صلى الله عليه وآله بالتقصير في التبليغ ، أو اتهمت الله تعالى بالتناقض في قرآنه وأفعاله !

يريدونك أن تجادل عن شخص غير معصوم ، فتبرئه من الخطأ والتناقض، ولو رميت به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله! وإلا فأنت رافضي عدوٌّ للإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وصحابته ، مهدور الدم والمال والعرض !

تخبطهم في آخر مانزل لإبعاد الآية عن ولاية علي عليه السلام

يظهر أن السيوطي استحى لجماعته من كثرة الأقوال في آخر ما نزل من القرآن ، فأجملها إجمالاً ولم يعددها أولاً وثانياً ، كما عدد الأقوال الأربعة في أول ما نزل ! ونحن نعدها باختصار !

١ - أن آخر آية هي آية الربا ، وهي الآية ٢٧٨ من سورة البقرة .

٢ - أنه آية الكلالة: الورثة من الأقرباء غير المباشرين.آية١٧٦- النساء .

٣ - أنه آية (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) آية ٢٨١ - البقرة .

٤ - أنه آية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...) لآية ١٢٨ - التوبة .

٥ - أنه آية (وما أرسلنا من قبلك من رسول ...) لآية ٢٥ - الأنبياء .

٦ - أنه آية (فمن كان يرجو لقاء ربه ...) الكهف - ١١٠ .

٧ - أنه آية (ومن يقتل مؤمنا متعمداً ...) النساء - ٩٣ .

٨ - أن آخر سورة نزلت هي سورة التوبة .

٩ - أن آخر سورة نزلت هي سورة النصر .

هذا ما جاء فقط في إتقان السيوطي:١٠١/١، وقد تبلغ رواياتهم ضعف هذا ! وأحاديثها عندهم صحيحة ، والمطلوب المركزي لهم إبعاد الأمر عن سورة المائدة وآية إكمال الدين ، وإبعاد السورة والآية عن ولاية علي بن أبي طالبعليه السلام ، ثم لا مانع إن لزم الأمر أن يتنازلوا عن قول عمر ، لكن لمصلحة قول آخر يبعد الأمر عن ولاية عليعليه السلام! ولذا دخل معاوية على الخط ، ونفى على المنبر أن تكون آية الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، آخر ما نزل !

ففي الطبراني الكبير:٣٩٢/١٩ ، ووثقه مجمع الزوائد:١٤/٧، عن عمرو بن قيس أنه (سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر نزع بهذه الآية: اليوم أكملت لكم دينكم .. قال: نزلت يوم عرفة في يوم جمعة ، ثم تلا هذه الآية: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)! والشاميين:٣/ ٣٩٦، وتفسير الطبري:٥١/١٦، والدر المنثور:٢٥٧/٤، والإتقان:٨٥/١.

ولذا نسب بخاري الى ابن عباس في صحيحه:١٨٢/٥ ، قال: (سمعت سعيد بن جبير قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ..هي آخر ما نزل وما نسخها شئ). آية٩٣: النساء ، ونحوه:١٥/٦، والدر المنثور:١٩٦/٢ ، عن البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وابن جرير والطبراني ، وأحمد، وسعيد بن منصور، وابن ماجة ، وابن المنذر ، وابن أبي

حاتم...الخ. **فهل يمكن لمسلم أن يقبل أن تحريم قتل المؤمن تشريع إضافي في الإسلام ، نزل بعد إكمال الدين ! ونسب الطبراني في الكبير:١٩/١٢، الى ابن عباس: (آخر آية أنزلت: وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فيه إِلَى الله). ٢٨١ من سورة البقرة !**

ونسب الحاكم:٣٣٨/٢، الى أبيّ بن كعب وصححه على شرط الشيخين: (آخر ما نزل من القرآن: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ). وهي في سورة التوبة:١٢٨ ، ورواه في الدر المنثور:٢٩٥/٣ ، عن بن أبي شيبة ، وابن راهويه ، وابن منيع ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وابن الضريس ، وابن الأنباري ، وابن مردويه ، عن ابن كعب وفيه : إن أحدث القرآن عهداً بالله وفي لفظ بالسماء هاتان الآيتان...الخ.

تحايلهم على معنى إكمال الدين من أجل عمر !

قال في الإتقان:١٠٢/١: (من المشكل على ما تقدم قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، فإنها نزلت بعرفة في حجة الوداع ، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها . وقد صرح بذلك جماعة منهم السدي فقال: لم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ ، مع أنه ورد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعدها ! وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم الدين بإفرادهم بالبلد الحرام ، وإجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون ، لايخالطهم المشركون) ! انتهى.

أقول: معنى كلام ابن جرير الطبري:أنه يعترف بأن الآية تنص على إكمال الدين فمعناه أنه لم ينزل بعدها أحكام ، لكن بما أن عمر قال إن آيات نزلت

بعدها في أحكام الربا والإرث ، وسياقها الذي وضعت فيه في القرآن يأتي فيه بعدها مجموعة أحكام للحوم والطعام والزواج..الخ. فالحل عند الطبري أن نلغي معنى إكمال الدين في الآية ونجعله إكماله بتحرير مكة ! حتى تسلم لنا أحاديث عمر عن الكلالة والربا وغيرها ! وهذا يعني وجوب تطويع آيات القرآن لكلام عمر ولو استلزم تفريغها من معناها ! لكن ماذا يصنعون بإقرار عمر لليهودي بأن يوم إكمال الدين عيد إكمال تنزيل الأحكام .

والصحيح ، ما نص عليه عامة فقهائهم وهو أن آية إكمال الدين إعلان عن إكمال تنزيل الشريعة: (فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام) ، وأرسلوا ذلك إرسال المسلمات ، كعمدة القاري:١٨/١٩٩، وتفسير مقاتل:١/٢٨٠، وتفسير الطبري نفسه:٦/١٠٦، عن إمامه السدي ، وتفسير ابن كثير:٢/١٤، والإتقان:١/٨٦، وغيرهم .

أما عندنا فقد فسير الإمام الباقر عليه السلام الآية بسند صحيح ، قال عليه السلام: (لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة . قد أكملت لكم هذه الفرائض).

والفريضة عندنا تعني: كل تكليف شرعي ، ففي الكافي:٢/٦٤٤، عن الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السلام تطوع والرد فريضة). وفي:٢/٣٣ ، عن الباقر عليه السلام قال: (قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤمناً؟ قال: فأين فرائض الله؟... كان علي عليه السلام يقول: لو كان الايمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام).انتهى. ***فهذا الإجماع بيننا وبينهم ، دليل كاف لرد كل رواية أو مقولة ، تدعي نزول شئ من الأحكام بعد آية إكمال الدين .***

معنى الإكمال يؤكد موقع علي عليه السلام ومنظومة الإمامة

حاول اللغويون التمييز بين الإكمال والإتمام ، وأعمقهم في ذلك الراغب في مفرداته ، والعسكري في الفروق اللغوية ، وأخطأ بعضهم فعدهما مترادفين مع أن القرآن ليس فيه مترادف بالكامل !

والظاهر أن مادة (كمل) تستعمل للمركب الذي لايحصل الغرض منه ولا يكمل إلا بكل أجزائه فإن نقص منها شئ كان وجوده ناقصاً أو مثلوماً ! ولذا قال علي عليه السلام سيد الفصحاء بعد النبي صلى الله عليه وآله في عهده للأشتر رحمه الله: (فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفِّ ما تقربت به إلى الله من ذلك،كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ) . (نهج البلاغة:٣/١٠٣).

فإكمال الدين رفع نقصه بتكميل أجزائه ، أو رفع ثلمه ، لأن الإسلام مركب من الدين وآلية تطبيقه التي هي الإمامة ، وعدم تبليغ الجزء المكمل للمركب يساوي عدم تبليغ شئ منه ، وبذلك يتضح أن الإمامة جزء لايتجزأ من الإسلام ، فلا وجود له وجوداً حقيقياً بدونها .

أما النعمة فليست مركباً واحداً بل هي وجود متفاوت ودرجات وأجزاء ، فهي موجودة قبل تبليغ النبي صلى الله عليه وآله للإمامة،لكنها لاتكون تامة إلا بها ! فمعنى: وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، أتممتها بتكميل الإسلام ومنظومة الإمام فيه ، فإكمال مركب الدين بالإمامة ، وبها تتم النعمة على المسلمين ، إن هم أطاعوا الإمام الذي نصبه ربهم لهم .

ويدل على ذلك آية جمعت الإكمال والإتمام، هي قوله تعالى: وَالْوَالِدَاتُ

يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ).(البقرة-٢٣٣).

فالكمـال للحولين لأنهما إسم لمركب ينتفي بانتفاء جزء منه ، فلو نقصت يـوماً لـم تـتحقق الرضـاعة لحولين . والتمام للرضاعة لأنها إسم للأعم فإن نقصت عن حولين فهي رضاعة ، وإن كانت غير تامة .

هـذا ، وللـراغب الأصـفهاني هـنا لفتة جيدة ، هي أن إكمال الدين يعني ثـبات صـيغته النهائـية وعـدم حـدوث النسخ فيه ، فالنسخ كان مفتوحاً في القرآن والسنة حتى نزلت الإمامة فانتهى وكمل الدين بصيغته الخالدة وتمت بـه الـنعمة. قال في مفرداته/٤٤٠: (وقوله: وتمت كلمة ربك ، إشارة إلى نحو قوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، الآية.. ونبه بذلك أنه لاتنسخ الشريعة بعد هذا).

تفسير آية: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ

العذاب الذي طلبته قريش

قال الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. (المعارج:١-٢).

تبدو هاتان الآيتان سؤالاً عن عذاب موعود سيقع حتماً ، لا أكثر ، ويمكن لأحد أن يقول إنه عذاب الآخرة الموعود ، فليس بالضرورة أن يكون عذاباً في الدنيا . لكن الآيات والأحاديث تدلك على أن هذا العذاب في الدنيا ، وقد وقع منه مفردات ، وبقيت مفردات !

وفي آيات العذاب الدنيوي تجد طلباً عجيباً من مشركي قريش ، لم تطلبه أي أمة من نبيها عبر التاريخ ! قال الله تعالى: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ . وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَالْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ . (الأنفال:٣١-٣٤) .

لقد حطَّمَ القرشيون الرقم القياسي في العناد اليهودي البدوي ! فلم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، بل قالوا ما

لم يقله أحد قبلهم ولا بعدهم: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ! ومعناه أنا لانريد نبوة ابن بني هاشم ، حقاً كانت أو باطلاً ، فإن كانت حقاً من عندك ، فأهلكنا فذلك خير لنا ! وصدق الله تعالى حيث أخبر أن أكثرهم لن يؤمنوا، فقال: لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. (يس:٦-٨).

وقد وعد الله هؤلاء الأكثر وإن أظهروا الإيمان بعذاب الدخان فقال: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ . يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ . أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ . ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ. إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ . يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) (الدخان:١٠-١٥).

أما مصادر السلطة فقد زعمت أن العذاب بهذا الدخان تحقق عندما دعا النبي صلى الله عليه وآله على قريش فأصابهم القحط والجوع فكان أحدهم يرى أمامه كالدخان من الجوع ! قال بخاري:١٥/٢: (إن النبي(ص) لما رأى من الناس إدباراً قال: اللهم سبعاً كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع ، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم ، قال الله

تعالى: فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى ، فالبطشة يوم بدر ، وقد مضت الدخان والبطشة واللزام وآية الروم). و:١٩/٢، و:٢١٧/٥ ، و:٤١/٦ .

وفي صحيح مسلم:١٣٠/٨: (عن مسروق قال: كنا عند عبد الله جلوساً وهو مضطجع بيننا ، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجئ فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام! فقال عبد الله وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس إتقوا الله ، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم ، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم..). ثم أورد حديث بخاري وقال: (فالبطشة يوم بدر وقد مضت آية الدخان والبطشة واللزام وآية الروم).انتهى.

أقول: ترى علماء السلطة يصرون على إبعاد العذاب الدنيوي والأخروي عن هذه الأمة وخاصة عن قريش حتى عن فراعنتها وأئمة الكفر منها كأبي جهل (بخاري:١٩٩/٥) ! وقصدهم بالبطشة قوله تعالى: ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ . إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ . يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ . (الدخان:١٤-١٦) ، وباللزام آخر سورة الفرقان: قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً) . فهم يفسرون البطشة الكبرى واللزام والعذاب ببدر ! ويقولون إن أنواع العذاب الموعود قد مضت !

بل تراهم افتروا على النبي صلى الله عليه وآله بأنه دعا على قومه فوبخه الله تعالى ! فاقرأ مالا تصدقه عيناك في تفسير قوله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَئٌ ، وكـيف صـوروا النبي صلى الله عليه وآله ضيق الصدر مبغضاً لقريش عدوانياً عليها ! فينزل الوحي مدافعاً عن هذه القبائل المقدسة !

قـال في الميزان:١٣٧/١٨: (واختلف في المراد بهذا العذاب المذكور في الآيـة ، فقـيل: المـراد بـه المجاعة التي ابتلى بها أهل مكة.. وقيل إن الـدخان المذكـور فـي الآيـة مـن أشـراط الـساعة وهـو لـم يـأت بعد...والقولان كما ترى).ونحوه مجمع البيان:١٠٥/٩ .

أقـول: الـتأمل في آيات العذاب يوجب القول بوجود عذاب دنيوي أيـضاً وعـد الله بـه بعض الناس ، منه ما تحقق ومنه ما يكون على يد المهدي عليه السلام ومنه ما يكون قبله ، أو بعده في الرجعة ، أو قرب القيامة .

ومن أدلته الواضحة قوله تعالى: (وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَـيَقُولَنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).(هود:٧-٨). فهو ينص على عذاب موعود مؤخر الى (الأمة المعـدودة) الذين يبعثهم الله لعذاب الظالمين ، وقد ورد أنهم أصحاب الإمام المهـدي عليه السلام. وكـذا قـوله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام: (إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّـيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ

الَّـذِينَ كَفَـرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْـيَا وَالآخِـرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ. (آل عمران:٥٥-٥٦). **ولايتسع المجال لبحث الموضـوع ، وغرضنا منه العذاب الموعود في قوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ، وقد وردت أحاديث في أنه يتعلق بقريش ، وأنه وقع بعضه يوم بدر ، وبعضه على أثر يوم الغدير . وبعضه يكون عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام كما قـال الإمام الصادق عليه السلام: (تأويلها فيما يأتي ، عذابٌ يقع في الثوية يعني ناراً حتى تنتهي إلى الكناسة) .** (غيبة النعماني/٢٧٢).

أحجار من السماء للمعترضين باسم قريش !

تحركت قافلة النبوة من غدير خمٍ نحو المدينة ، وسكن قلب النبيصلى الله عليه وآلهواطمأن لأنه بلغ رسالة ربه ، لكن قلوب قريش كانت تغلي من الغيظ ، ثم رأت نفسها أفاقت بعد سكرة ، فأخذت بالنشاط !

هنا استعمل الله تعالى أسلوباً آخر لعصمة نبيهصلى الله عليه وآلهمن قريش ، هو كشف مؤامرتها لقتله بعد الجحفة في عقبة هرشى ، وكانت نسخة عن مؤامرتها في عقبة تبوك .

كما استعمل الله أسلوب العذاب السماوي الذي لا تفهم قريش غيره تماماً كاليهود مع أنبيائهمعليهم السلام ! وقد روت مصادر السنة والشيعة عدة أسماء لأشخاص اعترضوا على إعلان النبيصلى الله عليه وآلهولاية عليعليه السلامفي غدير خم وهم: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري ، والحارث بن النعمان الفهري ، وعمرو بن عتبة المخزومي ، والنضر بن الحارث الفهري ، والحارث بن عمرو الفهري ، والنعمان بن الحارث اليهودي ، والنعمان بن المنذر الفهري ، وعمرو بن الحارث الفهري ، ورجل من بني تيم، ورجل أعرابي.. ورجل أعرابي من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعة . وكلهم قرشيون إلا الربيعي واليهودي ! وليس فيهم أنصاري لأنهم لم يعترض منهم أحد على ما أعطى الله

تعالى لعترة نبيه صلى الله عليه وآله، وإن خذلوهم بعد وفاته !

وخلاصة الحادثة: أن أحد القرشيين الكبار، أو أكثر من شخص، اعترض على النبي صلى الله عليه وآله واتهمه بأن إعلانه علياً عليه السلام ولياً على الأمة، كان عملاً من عنده وليس بأمر ربه عز وجل ! ولم يقتنع القرشي بتأكيد النبي صلى الله عليه وآله له أنه ما فعل ذلك إلا بأمر ربه عز وجل ! وخرج من عند النبي صلى الله عليه وآله غاضباً مغاضباً، وهو يدعو الله بدعاء قريش أن يمطر الله عليه حجارة من السماء إن كان هذا الأمر حقاً من عنده، فرماه الله بحجرٍ من السماء فأهلكه ! أو أنزل عليه ناراً من السماء فأحرقته !

وهذه الحادثة تعني أن الله استعمل التخويف مع قريش أيضاً، ليعصم رسوله صلى الله عليه وآله من تكاليف حركة الردة التي قد تُقْدِم عليها، ويتعزز عند زعمائها الإتجاه القائل بفشل المواجهة الحسية مع النبي صلى الله عليه وآله، وضرورة الصبر حتى يتوفاه الله تعالى !

وأقدم من روى هذا الحديث أبو عبيد الهروي في كتابه: غريب القرآن، قال ابن شهراشوب في مناقب آل أبي طالب:٢٤٠/٢: أبو عبيد، والثعلبي، والنقاش، وسفيان بن عينيه، والرازي، والقزويني، والنيسابوري، والطبرسي، والطوسي في تفاسيرهم، أنه لما بَلَّغَ رسول الله (ص) بغدير خم ما بَلَّغ وشاع ذلك في البلاد، أتى الحارث بن النعمان الفهري وفي رواية أبي عبيد: جابر بن النضر بن الحارث بن

كلدة العبدري فقال: يا محمد ! أمرتنا عن الله بشهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه ! فهذا شئ منك أم من الله؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي لاإله إلا هو إن هذا من الله . فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ..الآية). انتهى. وقد أحصى علماؤنا ، كصاحب العبقات ، وصاحب الغدير وصاحب إحقاق الحق ، وصاحب نفحات الأزهار ، وغيرهم عدداً من أئمة السنيين الذين أوردوا هذا الحديث في مصنفاتهم ، فزادت على الثلاثين .. نذكر منهم اثني عشر:

١ - الحافظ أبو عبيد الهروي ، في تفسيره(غريب القرآن) .

٢ - أبو بكر النقاش الموصلي البغدادي ، في تفسيره .

٣ - أبو إسحاق الثعلبي ، في تفسيره (الكشف والبيان).

٤ - الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب (أداء حق الموالاة) .

٥ - أبو بكر يحيى القرطبي ، في تفسيره .

٦ - أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته .

٧ - شيخ الإسلام الحمويني ، روى في فرائد السمطين في الباب الثالث عشر

بسنده الى الثعلبي عن سفيان بن عيينه سئل عن قوله عز وجل: سأل سائل بعذاب واقع ، فيمن نزلت فقال ...

٨ - أبو السعود العمادي ، في تفسيره:٢٩٢/٨، وقال: قيل هوالحرث بن النعمان الفهري، وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله ﷺ في علي رضي الله عنه: من كنت مولاه فعلي مولاه ، قال ...

٩ - شمس الدين الشربيني القاهري الشافعي ، قال: في تفسيره السراج المنير:٣٦٤/٤: اختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس: هو النضر بن الحرث ، وقيل: هو الحرث بن النعمان...

١٠ - الشيخ برهان الدين علي الحلبي الشافعي ، رواه في السيرة الحلبية:٣٠٢/٣ ، قال: لما شاع قوله(ص): من كنت مولاه فعلي مولاه فيساير الأمصار وطار في جميع الأقطار ، بلغ الحرث بن النعمان الفهري...

١١ - شمس الدين الحفني الشافعي ، في شرح الجامع الصغير:٣٨٧/٢ .

١٢ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي ، في شرح المواهب اللدنية/١٣.

طرق وأسانيد حديث حجر الغدير

طرق المصادر السنية: الطريق الأول: حديث أبي عبيد الهروي: في كتابه: غريب القرآن ، وسنده عند أهل الجرح والتعديل سند مقبول .

الثاني: حديث الثعلبي عن سفيان بن عيينة: وله أسانيد كثيرة ، وأكثر الذين ذكرهم صاحب الغدير رحمه الله أسانيدهم عن الثعلبي أو من كتابه ، كما عدد السيد المرعشي رحمه الله جملة منهم في إحقاق الحق:٣٥٨/٦ ، ونص الحديث: *(عن سفيان بن عيينة رحمه الله سئل عن قوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، فيمن*

نزلت؟ فقال للسائل: لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ، حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه رضي الله عنهم أن رسول الله (ص) لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي رضي الله عنه وقال من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك فطار في البلاد ، وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري ، فأتى رسول الله(ص)على ناقة له فأناخ راحلته ونزل عنها، وقال: يا محمد أمرتنا عن الله عز وجل أن نشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك ، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصوم رمضان وأمرتنا بالحج فقبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه...الخ. وشواهد التنزيل:٣٨١/٢ ، بسندين إلى ابن عيينة ، برقم (١٠٣٠و١٠٣١).

الثالث والرابع والخامس للقاضي الحسكاني في شواهد التنزيل:٣٨٢/٢. رقم١٠٣٢ . عن جابر الجعفي . و:٣٨٣/٢ رقم١٠٣٣، عن حذيفة ، و:٣٨٥/٢ رقم١٠٣٤، عن أبي هريرة .

طرق وأسانيد مصادرنا إلى سفيان بن عيينة

١. سند فرات بن إبراهيم الكوفي إلى سفيان بن عيينة/٥٠٥ ، برقم(٣).

٢. سند محمد بن العباس إلى سفيان في تأويل الآيات:٧٢٢/٢ .

٣. سند الشريف المرتضى إلى سفيان في مدينة المعاجز:٤٠٧/١ .

٤. سند منتجب الدين الرازي إلى سفيان في (الأربعون حديثاً /٨٢ .

٥. سند الطبرسي إلى سفيان بن عيينة ، كما في تفسير الميزان:٥٨/٦ .

طرق وأسانيد مصادرنا من غير طريق سفيان بن عيينة

١- أسانيد الكليني:٤٢٢/١ ، و: ٥٧/٨ ، عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢. أسانيد فرات الكوفي/٥٠٣،عن أبي هريرة وابن عباس وسعد بن وقاص.

٣. سندا محمد بن العباس في تأويل الآيات:٧٢٢/٢ ، عن أبي بصير...

٤. سند جامع الأخبار ، كما في بحار الأنوار:١٦٥/٣٣.

٥. سند مدينة المعاجز للبحراني:٢٦٧/٢ . عن السيد حيدر بن علي الآملي .

٦. رواية المناقب لابن شهرآشوب ، عن عدد من المصادر ، وقد تقدمت .

٧. رواية علي بن إبراهيم في تفسيره:٣٨٥/٢، بسنده عن أبي الحسن عليه السلام .

وهناك أسانيد أخرى ، يصعب استقصاؤها فراجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ، وكنز الحقائق للكراجكي ، والفضائل لشاذان بن جبرئيل ، وتفسير القمي والمناقب لابن شهرآشوب ، وغاية المرام للبحراني، وغيرها.

والنتيجة الأولى التي يصل المتأمل أن أصل الحديث مستوفٍ لشروط الصحة ، فمهما كان الباحث بطئ التصديق ، وأجاز لنفسه اتهام الشيعة بأنهم وضعوها في مصادرهم، فلا يمكنه أن يفسر وجودها في مصادر السنة ورواية عدد من أئمتهم لها ، وتبني بعضهم لها .

نعم قد يعترض متعصبٌ بأن هؤلاء الأئمة السنيين رووه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وجوابه أولاً ، أن طرق الحديث فيها عن حذيفة ، وأبي هريرة ، وابن وقاص وغيره . وأن مقام أهل البيت عليهم السلام عند السنة لايقل عن مقام كبار أئمتهم ، خاصة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام اللذين يروي عنهما عدد من كبار أئمتهم كأبي عبيد والسفيانين والزهري ومالك وأحمد ، وغيرهم .

والنتيجة الثانية أن الحادثة التي روتها هذه الأحاديث لايمكن أن تكون واحدة بل متعددة ، بسبب تعدد الإسماء ، والتصحيف يصح في بعضها لا في جميعها ، وبسبب نوع العقوبة ، والأمكنة ، والأزمنة ، واقرائن المذكورة في روايات الحديث . فرواية أبي عبيد والثعلبي وغيرها تقول إن الإعتراض والحادثة وقع في المدينة أو قربها ، وإن العذاب كان بحجرٍ من سجيل ، ورواية أبي هريرة وغيرها تقول كان في نفس غدير خم بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله ، وإن العقوبة كانت بنارٍ نزلت من السماء ، وبعضها يقول إنها كانت بصاعقة .

نموذج من تفسير علماء الخلافة لآية: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ

قال الشوكاني في فتح القدير:٣٥٢/٥: (وهذا السائل هو النضر بن الحارث حين قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . وهو ممن قتل يوم بدر صبراً . وقيل: هو أبو جهل . وقيل: هو الحارث بن النعمان الفهري . والأول أولى لما سيأتي).انتهى.

وقصده بما يأتي ما ذكره/٣٥٦ ، من رواياتهم التي تثبت أن السورة مكية وأن صاحب العذاب الواقع هو النضر ، وليس ابنه جابراً ، ولا الحارث الفهري قال: (وقد أخرج الفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: سأل سائل ، قال: هو النضر بن الحارث قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ

السَّمَاءِ) . انتهى. ومع أن الشوكاني ذكر القولين لكنه ذكر رواية أحدهما دون الآخر ، وهذا تحيز ! بل ينبغي أن يذكر واية القولين وسبب ترجيحه لأحدهما كما فعل الشربيني القاهري في تفسير المعروف فقال كما نقل عنه صاحب عبقات الأنوار:٣٩٨/٧: (اختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس: هو النضر بن الحارث . وقيل هو الحارث بن النعمان ، وذلك أنه لما بلغه قول النبيصلى الله عليه وآلهمن كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته في الأبطح ثم قال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك...إلخ.). انتهى. وقال القرطبي في تفسيره:٢٧٨/١٨: (وهو النضر بن الحارث حيث قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، فنزل سؤاله وقتل يوم بدر صبراً هو وعقبة بن أبي معيط ، لم يقتل صبراً غيرهما ، قاله ابن عباس ومجاهد . وقيل: إن السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهري، وذلك أنه لما بلغه قول النبي(ص)في علي رضي الله عنه: من كنت مولاه فعلي مولاه ، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح.. بنحو رواية أبي عبيد . ثم قال: وقيل: إن السائل هنا أبو جهل وهو القائل لذلك ، قاله الربيع. وقيل إنه قول جماعة من كفار قريش . وقيل: هو نوحعليه السلامسأل العذاب على الكافرين. وقيل: هو رسول الله (ص) أي دعا بالعقاب، وطلب أن يوقعه الله بالكفار وهو واقع بهم لامحالة، وامتد الكلام إلى قوله تعالى: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ، أي لاتستعجل فإنه قريب).

أقول: رجح المفسرون السنيون كما رأيت تفسير الآية بنزول العذاب على

النضر بن الحارث العبدري بقتله في بدر ، لكن اعترافهم برواية العذاب عقوبة للمعترض على ولاية علي عليه السلام في الغدير ، يدل على وجود إعلان نبوي رسمي بحق علي عليه السلام ووجود اعتراضٍ قرشي عليه !

أما الفخر الرازي فاختار في تفسيره:١٢٢/٣٠ ، أن العذاب المذكور في مطلع السورة هو العذاب الأخروي ، وأن الدنيوي مخصوص بالنضر بن الحارث. قال: (لأن العذاب نازل للكافرين في الآخرة لايدفعه عنهم أحد، وقد وقع بالنضر لأنه قتل يوم بدر) ، ثم وصف هذا الرأي بأنه سديد.. وهو بذلك يتابع المفسرين السنيين الذين قالوا بانتهاء العذاب الدنيوي الموعود ، مع أن السورة لاتشير إلى انتهاء أي نوع منه .

ويرد على تفسيرهم عدة إشكالات: أولها: أن القول الذي رجحوه قول صحابي أو تابعي وهما ابن عباس ومجاهد ، وليس حديثاً نبوياً، بينما تفسيرها بعذاب المعترض على ولاية علي عليه السلام حديث نبوي صحيح السند .

وثانيها: أن سؤال النضر بالعذاب الواقع كان قبل بدر ، وعذابه في بدر ، لكن آية مطر الحجارة نزلت في الأنفال بعد بدر وبعد قتل النضر ، فكيف يكون جواب قوله في سورة مكية، وقوله في سورة مدنية بعد هلاكه ؟!

وثالثها: أن العذاب بحجر من السماء أكثر تناسباً وانطباقاً على قوله تعالى: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، من قولهم أن العذاب كان بالقتل .

ورابعها: أنه لاتعارض بين التفسيرين ، فيكون العذاب وقع على النضر بن

الحارث في بدر ، ثم وقع على ولده جابر بن النضر ، كما في رواية أبي عبيد ، ثم وقع ويقع على آخرين من مستحقيه ! بل هو المتعين الذي يقتضيه إطلاق النص ، فقد تحدوا النبيصلى الله عليه وآله وتساءلوا عن العذاب الموعود وطلبوه ، فأجابهم الله تعالى بأنه واقعٌ بالكفار لامحالة في الدنيا وفي الآخرة ، وقد وقع على قريش في بدر والخندق ، كما عذبهم بالجوع والقحط ، وفتح مكة . ومنه عذاب المعترضين منهم على النبيصلى الله عليه وآله لإعلانه ولاية عترتهعليهم السلام ! بل يبقى العذاب الواقع مفتوحاً الى آخر الدنيا !

محاولات النواصب رد تفسير آية العذاب !

لم أعثر على أحد من النواصب المبغضين لأهل بيت النبيصلى الله عليه وآله، رد هذا الحديث وكذبه قبل ابن تيمية، فقد هاجمه بعنف وتخبط في رده ! وتبعه على ذلك محمد رشيد رضا في تفسير المنار، وهو ناصبي مقلد لابن تيمية وتلميذه ابن القيم في كثير من أفكارهما ، وقد أدخلها في تفسيره ، واستفاد لنشرها من إسم أستاذه الشيخ محمد عبدهرحمه الله فخلط أفكاره بأفكار أستاذه ! ويلمس القارئ الفرق بين الجزءين الأولين من تفسير المنار اللذين كتبهما في حياة الشيخ محمد عبده وما سجله من دروسه ، ففيهما من عقلانية الشيخ محمد عبدهرحمه الله واعتقاده بولاية أهل البيتعليهم السلام ، وبين الأجزاء التي كتبها رشيد رضا بعد وفاة أستاذه أو أعاد طباعتها ووضع فيها أفكاره الناصبة لأهل البيتعليهم السلام. وقد نقل

رشيد رضا في المنار:٤٦٤/٦ ، الحديث من تفسير الثعلبي ، ثم قال: (وهذه الرواية موضوعة ، وسورة المعارج هذه مكية ، وما حكاه الله من قول بعض كفار قريش:اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ.. كان تذكيراً بقول قالوه قبل الهجرة، وهذا التذكير في سورة الأنفال وقد نزلت بعد غزوة بدر قبل نزول المائدة ببضع سنين ، وظاهر الرواية أن الحارث بن النعمان هذا كان مسلماً فارتد ، ولم يعرف في الصحابة ، والأبطح بمكة والنبي صلى الله عليه وآله لم يرجع من غدير خم إلى مكة ، بل نزل فيه منصرفه من حجة الوداع إلى المدينة).انتهى. ولم يزد رشيد رضا على ما ذكره ابن تيمية ! وعمدة إشكالهما:

١- أن مكان الأبطح في مكة والنبي صلى الله عليه وآله لم يرجع بعد الغدير إلى مكة . وجوابه: أن الأبطح كل مسيل ماء فيه حصى (العين:١٧٣/٣)، وأبطح المدينة مشهور ، لكن ابن تيمية لا يعرفه أو تعمد الكذب ! وقد رده صاحب الغدير رحمه الله:٢٣٩/١، بما رواه بخاري:١٨١/١ (أن رسول الله (ص) أناخ بالبطحاء بذي الحليفة فصلى بها). وذو الحليفة بالمدينة لا في مكة .

٢- وإشكاله الثاني أن سورة المعارج مكية نزلت قبل المائدة ، والحديث يقول إن آيتها نزلت وسط آيات سورة المائدة !

وجوابه: أن سورة المعارج مختلف فيها ، ويبدو أن فيها آيات مدنية ولو سلمنا أنها كلها مكية فتكون آية (سأل سائل) نزلت مرة ثانية ، لأنه

جـاء تأويلها عندما طلب المعترض نزول العذاب عليه ونزل . وتوجد آيـات عديدة نزلت أكثر من مرة وكان نزولها الثاني لتحقق تأويلها أو لتأكـيدها ، وقـد نـصت رواية بحار:١٦٧/٣٧، على أن جبرئيل هبط بعد هـلاك المعترض على النبي صلى الله عليه وآله وهو يقول: (إقرأ يا محمد: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَـذَابٍ وَاقِعٍ . لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِع). وهذا نص في أن جبرئيل عليه السلام نزل بتطبـيق الآيـة أو تأويلهـا ، بل يظهر من أحاديثنا أن ما حل بالعبدري والفهـري مـا هـو إلا جـزءٌ صغيرٌ من (العذاب الواقع) الموعود ، وأن أكثـره سـينزل فـي المـستقبل تمهيداً لظهور المهدي عليه السلام أو نصرةً له.. وقـد روى المحدثون والمفسرون أن آية: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، نـزلت فـي سـورة الـضحى عـندما أبطأ جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله (الطبراني الكبير:١٧٣/٢) ، ونـزلت عندما عيَّر المشركون المسلمين بالفقر(لباب النقول/٢١٣)، ونـزلت عندما عُرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ماهو مفتوح على أمـته مـن بعـده (الطبراني الكبير:٢٧٧/١٠) ، ونزلت عندما رأى النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام كساء من وبر الإبل وهي تطحن فبكى وقال: يا فاطمة إصبري علـى مـرارة الدنـيا لنعـيم الآخـرة غـداً، فنزلت: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَـى.(كنز العمال:٤٢٢/١٢) . فلا الأبطح عرفوه ، ولا تكرار النزول فهموه ، وتشبثوا بالباطل لينكروا ولاية علي عليه السلام التي صدع بها رسول الله صلى الله عليه وآله .

هذا ، وقد رد علماؤنا كلام الناصبي ابن تيمية في منهاجه:١٣/٤، بنقد

علمي مفصل كما ترى في الغدير:٢٣٩/١ ، وعبقات الأنوار: مجلد ٧ و٨ .

بنو عبد الدار "أبطال" العذاب الواقع

اختلفت الروايات في إسم الشخص الذي نزل عليه حجر السجيل ، ولكن ذلك لايضر في صحة الحديث ، خاصة أن المرجح تعدد الحادثة في غدير خم وفي المدينة ، وطبيعي أن يخفي القرشيون إسم الذي اتهم النبي صلى الله عليه وآله فنزل عليه العذاب ، لأن إسمه صار سوأةً على أقاربه وعشيرته ! وأقوى الروايات في إسمه: *جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري* ، بدليل أن الحافظ أبا عبيد الهروي المتوفى سنة٢٢٣ ، ضبطه في كتابه بهذا الإسم ، والعلماء يحترمون خبرة أبي عبيد بالحديث ، وجابر بن النضر شخصيةٌ قرشية معروفة ، فوالده زعيم بني عبد الدار حامل لواء قريش الذي قتل يوم بدر، فهو بنظره صاحب ثأر مع النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام الذي قتل أباه !

كما أنه في الكفر كأبيه الذي كان من أشد فراعنة قريش على النبي صلى الله عليه وآله! وقد ردد جابر كلمة أبيه: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَالْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ !

قال ابن هشام في سيرته:١٩٥/١: (وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله(ص)وينصب له العدواة ، وكان قدم

الحيـرة وتعلـم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار ، فكـان إذا جلـس رسول الله(ص)مجلساً فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه ، فهلم إلي فأنا أحدثكم أحـسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار، ثم يقـول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني ؟! قال ابن هشام: وهو الذي قال فـيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله . قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن ، قول الله عز وجل: إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . وكل ما ذكر فيه الأسـاطير مـن القرآن) . وقال السيوطي في الدر المنثور:١٨١/٣: (وأخرج ابن جريـر عـن عطـاء قال: نزلت في النضر: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَـقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .. وَقَالُوا رَبَّـنَا عَجِّـلْ لَـنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ .. وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ .. وسَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ! قال عطاء: لقد نزل فيه بضع عشرة آيـة مـن كتاب الله). ونحوه في:٢٩٧/٥. وأرسلته قريش الى اليهود ليعينوهم علـى النبيصلى الله عليه وآله (بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمديـنة وقالـوا لهمـا: سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقـوله فـإنهم أهـل الكـتاب الأول وعـندهم علم ليس عندنا من علم

الأنبياء... فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فَرَوْا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه؟وسلوه عن الروح ما هي).(ابن هشام:١/١٩٥).

وهوكاتب الصحيفة الملعونة الأولى ضد بني هاشم . (ابن هشام:١/٢٣٤).

وختاماً ، نلاحظ أن كثيراً من الرواة خلطوا بين جابر بن النضر الذي نزل عليه العذاب بحجر من السماء ، وبين أبيه النضر الذي قتل قبله بعشر سنين في بدر ! وذلك لتشابه شخصيتهما وعدائهما لله ولرسوله ، ولا يبعد أن يكون الرواة أرادو إخفاء الإبن المقتول لاعتراضه على ولاية علي عليه السلام ، وفأدغموه في أبيه ، وجعلوا أخبارهما واحدة !

۞ ۞

فهرس الموضوعات

۞ ۞